



جامعة جنوب الوادي

مقرر

تاريخ أفريقيا الحديث

الفرقة الثانية - عام تاريخ

أستاذ المقرر

د/ آية عبد الوارث سليم

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

العام الجامعي

٢٠٢٣/٢٠٢٢

محتوى الكتاب

الصفحة	أولاً الموضوعات
	<p>الفصل الأول: كشف أفريقيا في التاريخ الحديث</p> <p>أولاً: عوامل تأخر كشف أفريقيا</p> <p>ثانياً: النشاط الكشفي للمصريين القدماء والعرب</p> <p>ثالثاً: الإسلام في القارة الإفريقية.</p> <p>الفصل الثاني: دوافع الاستعمار الأوروبي في أفريقيا في العصر الحديث</p> <p>أولاً: تعري الاستعمار.</p> <p>ثانياً: دوافع الاستعمار الأوروبي وتطورها.</p> <p>الفصل الثالث: الاستعمار البرتغالي في أفريقيا</p> <p>أولاً: رحلات البرتغال الكشفية.</p> <p>ثانياً: البرتغال في سواحل أفريقيا.</p> <p>ثالثاً: نظام البرتغال في حكم مستعمراتهم.</p> <p>الفصل الرابع: الجهود الدولية لإلغاء الرق في أفريقيا</p> <p>أولاً: تجارة الرقيق في أفريقيا.</p> <p>ثانياً: الجهود البريطانية لإلغاء الرق في غرب إفريقيا.</p>

	ثانيًا: الأشكال والصور
	شكل ١: خريطة إفريقيا بين عامي ١٥٠٠-١٧٨٨م شكل ٢: خريطة لطرق انتشار الإسلام في إفريقيا شكل ٣: خريطة إفريقيا في منتصف القرن التاسع عشر شكل ٤: خريطة إفريقيا في أواخر القرن ١٩م شكل ٥: خريطة الاستعمار الأوروبي في إفريقيا عام ١٩١٤
	ثالثًا: المصادر والمراجع
	رابعًا: روابط الفيديو
	فيديو ١ https://www.youtube.com/watch?v=2GkShGpDaak فيديو ٢ https://www.youtube.com/watch?v=KEP8RnR2gi0



تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر

الدكتور

سقاو دردير عبد الجواد

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة أسوان

الفصل الأول

كشف أفريقيا في العصر الحديث

الفصل الأول

كشف أفريقيا في العصر الحديث

أولا عوامل تأخر كشف أفريقيا:

والسبب في ذلك يرجع الى عدة عوامل نجملها فيما يلي:

١. قصر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها:

وبالطبع كلما ازداد ده طول الساحل كلها ما أعطى فرصة أوسع للتغلغل للداخل.

٢. قلة الرؤوس والخلجان وقلة تعاريج السواحل:

فإذا قارنا سواحل افريقيا بسواحل أية قارة أخرى ندرك هذه الحقيقة، وقد ترتب عليها قلة الموانئ الطبيعية، وهذه الموانئ في العادة هي المنافذ التي تطل منها القارة على العالم الخارجي ويمد العالم الخارجي بصره منها للقارة.

٣. قلة الجزر القريبه من الساحل:

فالجزر يمكن أن تتخذ كمناطق تستقر فيها القوة ثم تنفذ منها بعد ذلك للداخل.

وإذا قارن بين آسيا وأفريقيا من جهة أخرى ندرك ان الجزر الأفريقية قليل وصغير الحجم باستثناء جزيرة مدغشقر وهي رغم اتساعها فإن تيار موزمبيق جعلها منعزل عن اليابس الأفريقي.

وحتى جزر زنجبار، وبمبا، ومافيا التي تواجه الساحل الشرقي- تبعد عن

الساحل بمسافات، فقيمتها كمحطات كبيره للاتصال بالداخل محدوده.

٤. السواحل الأفريقية في جملتها ظهيرها فقير: اذا تؤدي المناطق الصحراوية

أو شبه صحراوية وغابات كثيفة يصعب اختراقها.

٥. قلة أهمية الأنهار الأفريقية شرايين تؤدي للداخل:

وذلك لأن الانهار تنتهي إلى البحر بدالات كثيرة الفروع والمستنقعات؛

والسدود بالإضافة إلى المناطق المائية، وينطبق هذا على معظم الأنهار الأفريقية

(الكونغو، والزمبيزي، والنيجر) وحتى النيل الذي اشتهر منذ القدم _ ولكن شهرته كانت

في مجال الري والزراعة أكثر طه كمجرى ملاحى، وهناك عقبات معروفة كالجنادل

تعترض مجراه كما أن لغز النيل (سر النيل) وأسباب فيضانه ومنابعة لم تكتشف إلا

حديثاً.

٦. عوامل مناخية :

فقارة أفريقيا تقع فى المناطق المدارية والاستوائية وهى مناطق غير مشوقة

للإنسان الأوربي ليطرقها أو ليعيش فيها .

٧- الأمراض الأفريقية :

وهى الأمراض التى كانت منتشرة بالقارة مثل الملاريا، ومرض النوم ولم

تكن قد كشفت وسائل حاسمة لعلاجها .

٨- اهتمام الدول الأوروبية — حتى حين وضعت أقدامها على المناطق الساحلية

أو القريبة من سواحل القارة لم يكن موجهها للقارة وما بداخلها - لكن كانت

الأنظار متجهة للشرق ومنتجاته فظلت مناطق الاستقرار الأوربي بالقارة مجرد

محطات للسفن أو مراكز تجميع للسلع الأفريقية وأدى ذلك لتأخر كشف داخل

القارة .

٩- الأفريقيون أنفسهم وقفوا فى وجه الأوروبيين وقاوموهم لأنهم لم يعرفوهم إلا كمستعمرين أو تجار رقيق.

وإذا القينا نظرة على سواحل أفريقية نجد:

١- الساحل الشمالى:

هو الساحل المواجه لأوروبا وقد قامت به حضارات من أقدم الحضارات التى عرفها الإنسان مثل الحضارة الفينيقية والحضارة الفرعونية وحضارة قرطاجنة - لكن اتجاه هذا الساحل كان للبحر المتوسط والدول الأوروبية والأسبانية المطلة على هذا البحر.

والصحراء الكبرى اى الواقعة جنوب الساحل الشمالى كانت حاجزا طبيعياً حال فى كثير من الأحيان دون وصول مؤثرات البحر المتوسط إلى داخل القارة - ولذا فكثيرون من الكتاب الأجانب يعتبرون أن أفر يقيا تبدأ جنوب الصحراء الكبرى.

٢- الساحل الغربى :

أقرب لأوروبا من غيره وقد وصل إليه الأوروبيون فعلا فى أواخر القرن الخامس عشر - لكن أقتصر الأمر على نقط ساحلية فقط فحسب وذلك لأسباب منها:
أ) نظر الأوروبيون كما قلنا لأفريقيا على انها وسيلة لتحقيق حلمهم فى الوصول إلى الشرق وتجارته فحسب، وقد حقت لهم الحصون التى اسسوها على الساحل هذا الهدف.

ب) الجزر القريبه من هذا الساحل مثل (جزر كناريا) قليلة الأهمية لاكتشاف داخل القارة لانها تقابل الصحراء وكذلك توجد جزر اخرى قرب الساحل الغربى للقارة مواجهة الأقاليم الاستوائية من القارة.

ج) الموانئ الطبيعية في هذا الساحل قليلة.

د) الانهار في هذا الساحل لا تسهل مهمة الوصول الداخل.

وأهم هذه الأنهار نهر النيجر - لكنه لا يؤدي الى داخل القارة فهو يتجه شمالا ثم

يأخذ اتجاه الشمال غربيا ثم جنوبيا غربيا .

والاورنج سريع الجريان - في فصل الأمطار كما تتعرض مياهه في مجراه الأدنى

للجفاف اول للتسرب في الكثبان الرملية.

والسنغال يوجد حواجز رملية أمام مصبه تعترض الملاحة فيه.

هـ) الساحل الغربي من الناحية المناخية استوائي صحراوي وقد أطلق الأوروبيون

على ساحل غانا (مقبرة الرجل الأبيض) لانتشار الأمراض فيه.

٣- الساحل الجنوبي :

بعيد إلى حد ما عن أوروبا كما أن الهضبة في جنوب أفريقيا مرتفعة وقريبة من

الساحل .

٤ - الساحل الشرقى :

هذا الساحل يطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكان البحر الأحمر

همزة وصل بين آسيا وأفريقيا _ لكن رغم أن الساحل الشرقي لأفريقيا به بعض

الموانئ الصالحة، وبعض الجزر القريبة من الساحل مثل زنجبار، وبمبا، بالإضافة

إلى أنه من الناحية المناخية أكثر ملاءمة من الساحل الغربى - فهو بعيد إلى حد

ما عن أوروبا وكان الطريق إليه مجهولاً للأوروبيين، كما أن (المماليك) في مصر

والحجاز كانوا يتحكمون في الطريق ألملاحى بين الشرق وأوروبا وبحرمون دخول

السفن الأوروبية مياه البحر الأحمر.

ثانياً: النشاط الكشفي للمصريين القدماء والعرب:

رغم أن معرفة الأوروبيين لما في داخل القارة الأفريقية كانت متأخرة و ترجع للعصر الحديث_ إلى أننا نشير إلى أن المصريين القدماء وكذلك العرب كانت لهم معرفة باجزاء من القارة قبل الأوروبيين.

فيما يتصل دي المصريين القدماء:

١- تدل بعض بعض النقوش والآثار على أنه كانت بين مصر وبلاد النوبة الواقعة جنوبا علاقات منذ فجر التاريخ، ومنذ عصر الدولة القديمة في مصر(٣٠٠ ق.م) بدأنا نجد اسم(بلاد النوبه) بكثرة على الآثار المصرية.

ونستدل من هذه الآثار على تعدد رحلات المصريين القدماء نحو الجنوب في عهد الدولة القديمة، وأن المصريين القدماء اسهموا في هذا الوقت المبكر في تنظيم طرق الاتصال ببلاد النوبة سواء عن طريق البحر في الدروب الصحراويه مارين بالواحات ، او عن طريق النيل فقد حفروا القنوات للتغلب على العقبات الطبيعية في منطقة الجنادل الواقعة جنوبي أسوان.

ومن أهم مظاهر هذه الصلات بين مصر وبلاد النوبة انتشار المعابد والمعتقدات المصرية في هذه البلاد.

وحين أدى الانقسام والخلافات على العرش في اواخر الاسرة العشرين لتدهور الاحوال الاقتصادية والاجتماعيه والسياسيه في مصر_ هاجر عدد كبير من المصريين للجنوب واستقر كثيرون منهم قرب الشلال الرابع وساهموا في قيام مملكة (نباتا النوبيه)، وقد نجح أحد ملوكها (بعنخي) في غزو مصر، وخلفتها بعد

ذلك في بلاد النوبة مملكة أخرى هي (مملكة مروى).

٢- وكذلك ثبت من النقوش أنه في عصر الدولة القديمة في مصر كانت هناك علاقات تجارية بين المصريين وبين سكان الأقاليم المطلّة على البحر الأحمر، وقد ازدادت هذه العلاقات في عصر الدولة الحديثة.

ويذكر في هذا المجال بعثة (الملكة حتشبسوت) من ملوك الأسرة الثامنة عشر لبلاد بنت (إرتريا، والصومال) والتي سجلت صورها على معبد الدير البحري بالأقصر بمصر.

٣- وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الذي زار مصر عام ٤٥٧ ق.م _ أن احد الفراعنة المصريين (نيخاو الثاني) أرسل في القرن السادس قبل الميلاد جماعة من الفينيقيين اتجهوا في البحر الأحمر جنوبا وبعد ان غابوا حوالي ثلاث سنوات عادوا لمصر عن طريق البحر المتوسط_ فإذا صحت روايته فإن هذا يعني أن هذه الرحلة البحرية دارت حول القارة الأفريقية الأمر الذي لم يتحقق للأوروبيين إلا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح.

٤- اهتم الجغرافيون بأمر النيل وتتبع مجراه، فبطلميوس الجغرافي وهو رجل مصري يوناني رسم خريطه للعالم وصف النيل ومجراه حتى مدينة مروى (بين الدامر وشندي) كما وصف نهر العطبرة، والنيلين الأزرق والأبيض وغير ذلك من المعلومات التي ذكر أنه استقاها من مؤلف آخر ضاعت كتاباته.

٥- ويعتقد بعض الباحثين أن هناك تشابهاً واضحاً بين بعض المعتقدات وبعض الآلات والأدوات التي ما زالت موجودة لدى قبائل غرب أفريقيا وبين

المعتقدات والآلات التي كانت لدى المصري القديم .

وقد أثار هؤلاء العلماء تساؤلاً هاماً وهو:

هل يدل ذلك على أن الحضارة الفرعونية وصلت تأثيراتها بطريقة ما إلى غرب أفريقيا وأن ما نلاحظه اليوم هو من بقايا هذه التأثيرات (بحث هام للأستاذ- الدكتور عبد المنعم أبو بكر).

٦- كذلك هناك اتجاه يميل لترجيح أن بعض الآثار التي عثر عليها في زيمبابوى (رودسيا الجنوبية سابقاً) ترجع إلى تأثيرات فرعونية.

هذا وأشار إلى أن المصريين سילعبون في العصر الحديث خاصة في عصر محمد على وإسماعيل دوراً آخر في الكشف عن منابع النيل والأقاليم الواقعة على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي التي أمتد إليها نشاطهم في عهد إسماعيل فوصفوها وعمروها .

أما عن معرفة العرب بأفريقيا ونشاطهم فيها :

فقد كان للعرب دور فعال ونشاط كبير في شمال القارة بالذات، وفي سواحلها الشرقية والمناطق الواقعة خلف هذه السواحل هذا بالإضافة إلى مساهمتهم في الكشف الأوروبية الحديثة كرواد وأدلاء للمستكشفين الأوروبيين ، كما أن بعض الرحالة العرب كانت لهم رحلات وجولات زاروا فيها مناطق مخلفة من القارة .

١- ففيمما يتعلق بالساحل الأفريقي الشرقي فقد جاء العرب في وقت مبكر من شبه الجزيرة العربية من إمارة (عمان) خاصة إلى الساحل الأفريقي الشرقي المواجه لبلادهم ، فهم كما عبر عن ذلك كوبلاند (Coupland) _ الجيران لسكان شرق أفريقيا (next door neighbors).

فكان لابد أن يمدوا نشاطهم وتجارتهم وحاضرتهم إلى سواحل إفريقيا الشرقية
المواجهة لهم.

وبالإضافة إلى الجوار هناك عامل جغرافي يتمثل في هبوب الرياح التجارية
الشمالية الشرقية في ديسمبر ، ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير، ثم
ينعكس الأمر فمن إبريل تهب رياح شديدة من الجنوب الغربي ، وهكذا أصبح
التجار العرب ينظمون رحلاتهم للساحل الأفريقي المقابل لهم حسب مواسم الرياح
المنتظمة المعروفة لهم .

واستقر بعض العرب في الساحل الأفريقي المقابل لشبه الجزيرة العربية ليكونوا
حلقة اتصال بين إخوانهم في شبه الجزيرة وبين الأفارقة ، وانتشر النفوذ العربي بعد
ذلك في شرق القارة ، ثم توغلوا للداخل ، وترتب على هذا في النهاية تكوين (
إمارات عربية) على الساحل الشرقي وهذه الإمارات أصبحت تمارس فيها بعض
الأنظمة والعادات الأفريقية الأصلية بالإضافة إلى عادات وأنظمة وتقاليد عربية ،
وتمثل هذا الامتزاج بين الأشياء الأفريقية والعربية في (اللغة السواحيلية) وهي لغة
تحتوى على العديد من الألفاظ والتأثيرات العربية .

تد زار ابن بطوطة بعض هذه الإمارات العربية في عام ١٣٣٣م ودهش لما
كانت عليه مدن كلوه. ، وممبسة ، ومالندى، وبمبا، وزنجبار، ومقديشيو من تنظيم
ورخاء وحضارة .

كما أشاد الرحالة الأوروبيون الذين وفدوا لهذه الجهات بعد كشف طريق رأس
الرجاء الصالح بما لمسوه من حضارة في هذه الجهات ، فشهد فاسكودا جاما بما
وجده في موزمبيق وغيرها مدن أفريقيا الشرقية من تقدم وتحضر . ووصف الحريرية

ومنازلهم المؤنثة بالأثاث الفاخر .

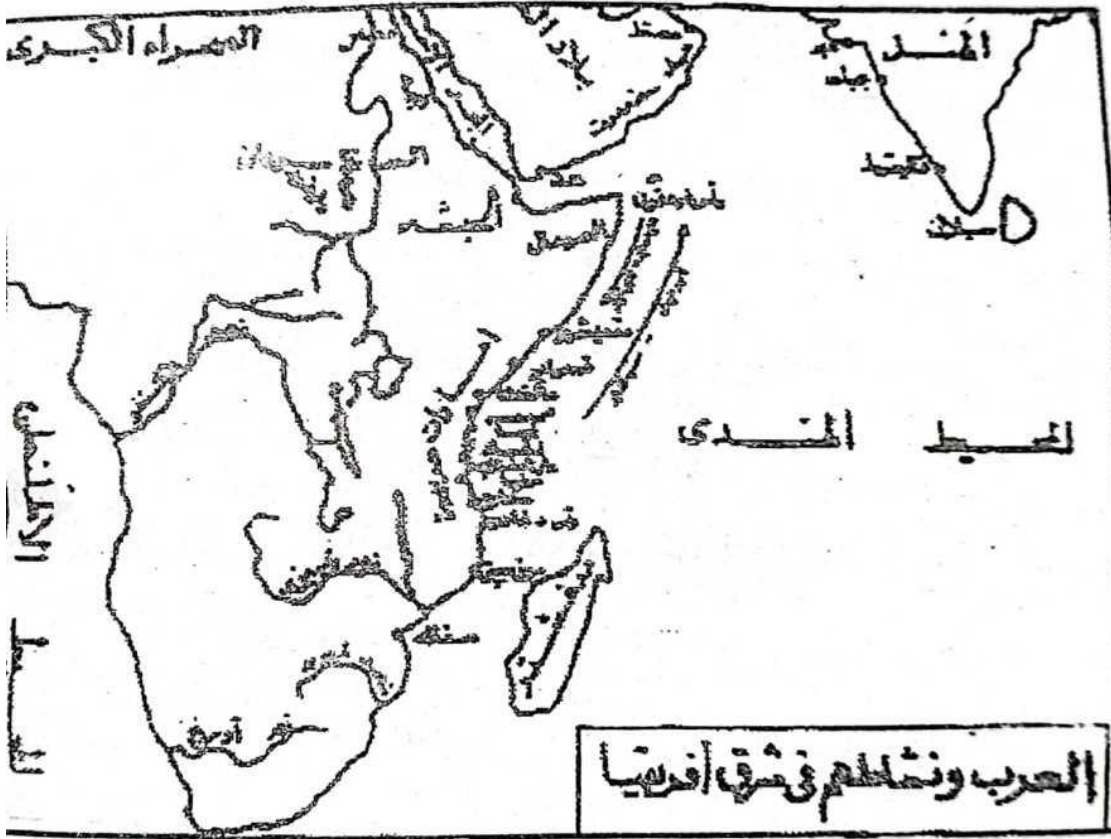
كما شهد دورات بربوسا (Durate Barbosa) نفس الشهادة عند زيارته لكلوه،
وممبسة ث ومالندى .

ويعلق كوبلاند على ذلك على الرغم من أنه كاتب استعماري بريطاني بقوله : "
إن الأمر لا يدعو للدهشة فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، فلا
شك فى أن مدارس بغداد والقاهرة وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك
فى أكسفورد او فى أية مدينة مسيحية أخرى "

٢- وبعد فتح مصر مد العرب نشاطهم غربا إلى شمال أفريقيا بل ومنها إلى
شبه جزيرة أيبيريا (الأندلس) وهكذا أصبح الشمال الأفريقي يمثل الجناح الغربي
للعالم العربي .

٣- وكان لعرب الأندلس والمغرب نشاط كبير فى غرب أفريقيا ، وترتب على
ذلك أنهم توغلوا فى داخل القارة ونشروا الإسلام فى أقاليم السودان بمعناه الجغرافى
الواسع ، وأدى لظهور إمبراطوريات إسلامية عظيمة لها حضارتها وتاريخها ونظامها
فى الحكم والإدارة ، وقد استمرت هذه الإمبراطوريات حتى بداية عهد أفريقيا بالاستعمار
الأوروبي مثل إمبراطورية مالى ث وسنغاي ، وغانا .

٤- وقد كانت قوافل التجارة ، وقوافل الحجاج تخترق القارة من شمالها إلى
داخل القارة ومن غربها إلى الشرق فى الطريف صوب الحجاز .



شكل رقم (١) العرب ونشاطهم في شرق أفريقيا

٥- ومن الرحالة العرب الذين قاموا بجولات فى افريقيا _ الرحالة المغربي الحسن بن الوزن الذى اشتهر باسم (ليو الأفريقي)، وقد زار عدة مناطق فى غرب أفريقيا، فزار مملكة مالي، وسنغاي ، وبورنو، وبلاد الهوسا بشمال نيجيريا .

ونشرت رحالانه ومشاهداته فى كتاب باسم (تاريخ وصف أفريقيا) ، وقد ترجم هذا الكتاب لعدة لغات.

ويقول بوفيل: (Bovill) الذى ألف كتاباً هاماً عن تاريخ غرب أفريقيا.

" قبل قدوم الحرب إلى شمال وغرب أفريقيا لم يكن يعرف الكثير عن أفريقيا جنوبى بلاد المغرب، فنحن ندين بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لهذه الجهات إلى فئة قليلة من المؤلفين والرحالة العرب من أمثال المسعودى، و ابن حوقل، والبكرى، والإدريسى، وياقوت ، والعمري، وابن بطوطة ، وابن خلدون»

٦- أما جهود العرب حين بدأت الكشوف الأوروبية الحديثة فتمثل فى الدور الذى لعبوه كرواد ومرشدين للحملات الكشفية .

ورغم أن كثيرين من المستكشفين والكتاب الأوروبيين تجاهلوا عن عمد أو عن غير قصد - ذكر دور هؤلاء العرب فى الكشف عن خبايا القارة _ فلا شك فى أنه لولاهم لما وصل هؤلاء الأوروبيون فى الكشف إلى المناطق التى وصلوا إليها، ولما حققوه من النتائج.

وسنشير إلى بعض هؤلاء العرب من أمثال محمد بن حميد البرجى (تيبوتيب) الذى ساهم مساهمة كبيرة مع الرحالة ستانلى فى كشف نهر الكونغو.

وذلك فيما بعد عند الحديث عن هذه الكشوف الجغرافية.

ثالثاً: الإسلام فى القارة الأفريقية:

يبدأ تاريخ القارة الإفريقية فى العصور الحديثة فى نفس الوقت بدء تاريخ غيرها من القارات ، أى مع نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر ، وبذلك

يرتبط تاريخ إفريقية وبطريقة مباشرة بنفس التطورات العالمية التي نتجت عن ظهور عصر النهضة ، وظهور النظام الرأسمالي ، ونجاح حركة الكشوف الجغرافية ، وفي هذا الوقت كانت القارة الإفريقية مجهولة إلى حد كبير بالنسبة للأوروبيين، وكانت الإهتمامات فى أوربا قد تركزت على مسألة إنتزاع التجارة العالمية من أيدي أبناء منطقة الشرق الأوسط، ومحاولة الوصول إلى الشرق الأقصى وموارده ، أى إلى ما كان يسمى بالهند، عن طريق الإبحار جنوباً حول القارة الإفريقية او غرباً للوصول إلى الهند من الناحية الأخرى، وكانت هذه الفترة هى فى نفس الوقت فترة القضاء على حكم المسلمين فى الأندلس، ومحاكم التفتيش، مما أعطى لهذه الحركة صفة الحروب الصليبية، وكانت القارة الإفريقية فى هذا الوقت، وعلى الأقل، فى الجزء الشمالي منها وحتى قرب خط الاستواء ، قد دانت بالإسلام وظهرت فيها بوضوح مظاهر الحضارة الاسلامية، متركزة فى شكل دول وسلطنات، لها أهميتها على خريطتها الجغرافية؛

وعلىنا أن نقوم بعملية مسح شاملة لهذا الجزء الشمالي من القارة الإفريقية، والذي انتشر فيه الإسلام، فى الوقت الذي بدا فيه الاتصال بالعناصر الأوربية، وبين القارة الإفريقية وسنسير فى ذلك مع انتشار الاسلام فى القارة، أى من الشرق والشمال الشرقى، ومع الخطوط والمسارات التى سار عليها من السودان وشرق أفريقية إلى بقية مناطق غرب إفريقية أى السودان الغربى مارين فى ذلك بكل من سلطنة ماش وسلطنة بورنو، والتى كانت موجودة ومزدهرة فى ذلك الوقت.

١ - انتشار الإسلام:

اختلف الكتاب فيما بينهم بشأن الطرق التي إنتشر بها الإسلام فى القارة الإفريقية، وإلى وقت قريب كان الكثيرون من الكتاب ومن المؤرخين ينسبون انتشار الإسلام وبنوع من التعميم إلى استخدام السيف وسيلة لإجبار الأهالي فى المناطق المختلفة عدى الدخول فى دين الله. الحنيف، ولكن الأبحاث العلمية زادت بعد ذلك من توضيح الخطوط التى سار عليها الإسلام، وبخاصة فى انتشاره فى القارة الإفريقية ، ومن زيادة أهمية الدعوة من أجل الإسلام ، وبالموعظة الحسنة، أكثر من استخدام السلمين للسيف، ثم زاد بعد ذلك الأمر وضوحاً بإظهار أهمية الاتصال البشرى ، وبخاصة من أجل تبادل المنافع، وتبادل السلع، كعنصر أولى يمهّد الطريق أمام الدعوة.

ولا شك فى ان العناصر العربية كانت قد خرجت من شبة الجزيرة العربية، وفى شكل موجات متتالية إلى القارة الإفريقية، حتى قبل ظهور الإسلام كما أن طريق الاتصال والمواصلات الموجودة بالقارة؛ ومنذ أقدم العصور، ساعدت على هذا الإتصال البشرى؛ و كذلك على تبادل المنافع التجارية، والاقتصادية ، بين أهالي الجزء الشمالي من القارة الإفريقية فهناك الحركة البشرية من منطقة إلى أخرى، ثم تبادل السلع والتجارة بعد ذلك، مما يؤدى إلى التأثير من جانب، والتغير فى الجانب الآخر، حتى فى العادات والتقاليد، وكذلك فى المعتقدات.

وكانت طرق المواصلات تربط الجزيرة العربية بكل من شرق إفريقيا ومصر فى الشمال الشرقى من هذه القارة وكانت الطرق البرية من شمال الحجاز عبر سيناء

إلى مصر ، كما أن البحر الأحمر لم يكن يمثل عائقاً يمنع عرب الجزيرة من الوصول إلى شرق السودان ، وإلى بلاد الصومال ، والجزء الشرقي من القارة الإفريقية ومع هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم- خرج أول المهاجرين من الحجاز إلى الحبشة.

وبعد قليل كان دخول الإسلام مصر يمثل تمركز الإسلام في قاعدة أساسية له في القارة الإفريقية، ينتشر منها غرباً صوب أقاليم المغرب الإسلامي، وينتشر منها جنوباً صوب السودان، وفي تكامل مع الهجرات الأخرى التي كانت تأتي من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر إلى السودان والصومال وشرق إفريقيا.

وكانت قوافل التجارة تسير من مصر متجهة صوب الغرب، حتى عبر طرابلس وتونس والجزائر إلى المغرب الأقصى ، وحتى بحر الظلمات، وكانت هناك قوافل تجارية أخرى تخرج من مصر، وتتجه جنوباً صوب السودان، وفي هذا الإتجاه صوب الجنوب، كانت القوافل تسير إما في حذاء النيل، وقرب المياه لكي نتوغل في السودان جنوباً إلى أقصى مرحلة يمكنها الوصول إليها، أو أن تتخذ طرق القوافل البرية، لكي تتوغل) في الصحراء، من أسبوط والواحات الخارجة صوب الجنوب والجنوب الغربي لكي تصل إلى كردفان وإدى دارفور، ومن ورائها إلى مناطق بحر الغزال وأعالي النيل . هذا علاوة على وجود الملاحة في البحر الأحمر، ووجود علاقات تجارية تبدأ من السويس والقصير وعيذاب، لكي تصل إلى سواكن وإلى جزر دهلك، القريبه من مصوع ومن هذه الموانئ السودانية تبدأ طرق قوافل أخرى تسير متجهة صوب الغرب وصوب السودان وادى النيل، وكانت هذه الموانئ الموجودة في

شرق السودان تتعاون كذلك فى شان التجارة التي تقطع البحر الأحمر صوب الشرق،
وصول جدة وينبع فى الحجاز .

ومن جنوب الجزيرة العربية كانت حركة التجارة مستمرة، وبشكل أكثر سهولة،
نظرا لضيق بوغاز باب المندب مع السواحل الشرقية للقارة الأفريقية. فكان هناك تبادل
تجاري مستمر بين موانئ اليمن وموانئ الصومال.

وساعدت الأحداث السياسية التي مرت بها الدول الإسلامية فى العصور
الوسطى على تفوق أهمية أحد الطرق على الطرق الأخرى، نتيجة لتغير الموقف
السياسي ، أو نتيجة لتغير الموقف العسكري، فوجد أن إنتقال السلطة من الدولة الأموية
مثلا إلى الدولة العباسية مع ما تلاه من موقف الدولة من الخوارج ، ساعد على وصول
مهاجرين من مناطق العراق والخليج الفارسي إلي موانئ شرق إفريقيا، وحتى إذا كانوا
من المعارضين للحكم قرب عاصمة الخلافة ، فإنهم كانوا عناصر إسلامية تساعد على
تدعيم الإسلام فى المناطق التي تصل إليها فى القارة الإفريقية ع وحين أشد خطر
الوجود الصليبي في فلسطين ، قلت أهمية ميناء السويس وحجم تبادلها التجاري ،
وأصبح الحجاج يخشون الذهاب إليها قاصدين الحجاز ، فانتقل خط المواصلات
الرئيسى عبر الصعيد إلى ميناء القصير، وحتى ميناء عيذاب، التي تقع إلى الجنوب
منها، تأمينا لطريق التجارة وطريق الحج ، وكان هذا الاتجاه صوب الجنوب بدرجة
أكبر ، يساعد على نشر وتوغل الإسلام ، ومع المصالح الإسلامية، إلى الجنوب
بدرجه أكبر .

هذا يتعلق بطرق المواصلات في مصر إلى الجنوب.

وكانت هناك طرق موصلات اخرى أى طرق قوافل شبر من مصر متجهة لصوب الغرب، وفي محاذاة الساحل الشمالي، مارة فى المناطق انتي تدعم فيها حكم الإسلام، وحتى المحيط الأطلسي، وكانت هذه الطرق قديمة ، أى قبل انتشار الإسلام في هذه المناطق، وكانت قوافل البحارة تسير عليها نحو الشرق والغرب منذ أقدم العصور وكانت محطاتها الرئيسية تتمثل في طرابلس و القيروان فى تونس. ثم قسطنطينية وتلمسان وفاس، وكانت هناك طرق قوافل أخرى، قديمة كذلك تبدأ من هذه المراكز وتتجه جنوبا عبر الصحراء، لكى تصل إلى مناطق السفانا وتأتى منها بمنتجات المناطق المدارية والإستوائية. ولقد نشأت هذه الطرق نتيجة لاحتياج الإنسان لتبادل السلع والمنافع، ومع أخيه الإنسان، منذ أقدم العصور، واستمرت وازدهرت مع مجئ الإسلام، وازدهار حضارته فى مناطق المغرب الإسلامي، وأصبحت سلع السودان الغربي والسودان الأوسط ، تصعل إلى مناطق شمال إفريقيا، عن طريق هذه القوافل التى كانت تنقل التبر والأبنوس والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات ، وتحمل إلى هذه المناطق السودانية منتجات شمال إفريقيا.

وكان التجار المسلمون خير دعاة للإسلام فى المناطق التى يصلون إليها فكانت صفاتهم الشخصية التى تميزوا بها بعد دخولهم الاسلام من نظافة وعزة وحرية وعدالة فى الميزان خير مشجع للأفارقة بادئين من النخبة المفكرة من بينهم على اعتناق الاسلام.

وكان الإسلام دين الله الحنيف هو كذلك دين الفطرة، وكان على التاجر المسلم الذى

ياتى من الشمال بمفرده أن يتخذ له زوجة إذا ما أستقر فى منطقة لفترة طويلة وساعد ذلك على

بدء الإمتزاج بين التجار الحرب، وبين البعض من عناصر الأقاليم السودانية وخاصة من أسر

الأمرء والحكام فى إفريقيا السودان فزاد ذلك الامتزاز قوة انتشار الإسلام من الشمال إلى الجنوب فى المنطقة المدارية من القارة الإفريقية.

وعلاوة على هذا التنقل المتصل بالتجارة علينا أن نذكر انتقال بعض الأهالي ، وفى شكل هجرات جاءت من الشمال صوب الجنوب وحتى بداية العصور الحديثة، فكان دخول العناصر العربية إلى أقاليم العرب قد دفع بعض عناصر البربر إلى الالتجاء إلى المناطق الجبلية و الاهتمام بها، أو إلى الهجرة صوب الجنوب، وبخاصة بعض فروع من قبائل صنهاجه الكبرى والتي قضت على عناصر البربر والطوارق الموجودة فى الصحراء الكبرى، ودفعتها جنوباً صوب أقاليم السفانا والأقاليم المدارية، وكان الطوارق يعملون فى التجارة بين إفريقيا السودان وإفريقية البيضاء منذ أقدم العصور، واستمرت حركاتهم وأوجه نشاطهم على ما كانت عليه رغم دخولهم فى الإسلام وكان تحركهم صوب الجنوب يساعد على زيادة انتشار الإسلام فى إفريقيا السودان، وإذا كانت بعض العناصر من البربر او من الطوارق قد ميزت بغاراتها و ببعض أعمال السلب والنهب، فإن ذلك يؤثر على البنیان السياسى للمناطق التى تعمل فيها ويساعد على هدمها، وعلى نشر الإسلام فى نفس الوقت فى هذه المنطقة .

وهكذا كانت التجارة، والاحتكاك البشرى وانتقال المسلمين إلى مناطق إفريقيا السودان هى التى ساعدت على نشر الإسلام فى إفريقيا السودان دون استخدام السيف.

وكان الإسلام يجذب الأفارقة إليه بتحريره العبد إذا أسلم، ويقصره الرق على أسرى الحروب، ومن الطابق الوثنية علاوة على مسابرتة لطبيعة الإنسان وتكوين الأسرة فى هذه المناطق الحارة الأمر الذى جذب الكثير من الأفارقة إلى الإحتذاء برؤسائهم وأمرائهم والدخول إلى الإسلام.

وعلى كل طرق القوافل سواء بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب كانت هناك محطات مختلفة تقع كل منها على عدة مسيرات من المحطة السابقة كان ينزل بها التجار وقوافلهم، وكانت تعقد فيها الأسواق في أيام معينة من السنة أو من الأسبوع؛ وكانت هذه الأسواق فقط تبادل للسلع والمنافع وكذلك مراكز لنشر الدعوة الإسلامية بين كل من يحضر ويتعامل فيها ، وكان هذا التجمهر الضخم في الأسواق يساعد على خلق الروابط بين الأهالي ، ويساعد على زيادة التفهم، وساعد هذا الاحتكاك على زيادة انتشار الإسلام، ومع التجارة صوب الجنوب.

ومن التجارة وزيادة الاتصال بين البشر زادت الرغبة في التعمق في أصول الدين الإسلامي ، والشريعة الإسلامية فسار بعض الأفارقة على نفس طرق القوافل ذاهبين إلى الشمال، وإلى مراكز الحضارة والثقافة الإسلامية ، لكي يزيدوا فقههم في الدين وفي العلوم الإسلامية.

وكانت مراكز الثقافة الإسلامية قد نشأت ، منذ القرون الإسلامية الأولى، في كل من القيروان وتلمسان وحواضر المغرب الأقصى ، ثم ظهرت الجامعات الإسلامية بصد ذلك ، وزادت شهرتها وخاصة جامعة القرويين في فاس وجامعة الزيتونة في تونس. هذا علاوة على الجامع الأزهر في القاهرة.

ولا شك في أن الجامع الأزهر كان مركزاً ثابتاً ومنازة للإشعاع العلمي في الركن الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، وكان الأفارقة يقصدونه، طلاباً للعلم من جميع أنحاء القارة الإفريقية سواء من مناطق الصومال أو السودان ودارفور، والسودان الأوسط والسودان الغربي ، وكانت به رواقات لإقامة الطلاب النيجيريين ، والسودانيين وأبناء دارفور ، والتكرور ، ومالي علاوة على وجود أروقه للمغاربة و الأتراك وللهنود وحتى للملايو فكان بذلك مركز الإشعاع الإسلامي الأول

فى العالم؁ وتتوع آاص بالنسبة للقارة الإفريقية وكان عدد الطلاب الذين يقصدونه يدل على أهميته القصوى بالنسبة لغيره من مراكز الإشعاع الإسلامى فى العالم؁ رغم أن جامعة القرويين كانت قد تأسست قبله بعشرة سنوات.

وكانت جامعة الزيتونة لها أهميتها الكبيرة كذلك بالنسبة لأبناء شمالي إفريقيا وكذلك بالنسبة للأفارقة الذين كانوا يصلون إليها من وداى وبرنو وكانم . أما جامعة القرويين وهى أقدم الجامعات الإسلامية فى إفريقيا؁ فكانت كذلك مركزا لدراسة الأفارقة ، وأبناء السودان الغربى؁ وكانت لهما دور كبير فى نشر الإسلام فى الجزء الغربى من القارة الإفريقية .

وكان لنشأة هذه المراكز العلمية والثقافية مقوماتها فكانت قد نشأت فى مراكز توطن حضارى ، وفى أرض خضراء فيها استقرار وتجمع كبير للأهالى الامر الذى يمهّد للرجبة فى العلم؁ والحاجة إلى الفكر ، وأدى ذلك إلى ازدهار الحضارة والفكر الإسلامى فيها ، وإشعاع نور الإسلام منها إلى إفريقيا السوداء.

وعلىنا ألا ننسى بعد ذلك ظهور الإمتزاج بين التجارة وبين رجال العلم مع خروج بعض الدعاة للإسلام مع القوافل التجارية؁ وعبر المحطات التجارية والأسواق المختلفة من الشمال صوب الجنوب. فكانت هناك الصلوات التى تؤدى فى الأسواق التجارية ، وكان هناك نشر الدعوة الإسلامية وعلى طول طرق القوافل فى إتجاهها صوب الجنوب مستفيدين فى ذلك من المثل الذى أعطاه التاجر المسلم لأبناء القارة الإفريقية ، وهذا العامل كان هاماً بالنسبة لنشر الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية؁ ولكنه تطور مع بدء ظهور الطرق الصوفية التى ظهرت إبتداء من القرن الرابع عشر ثم الخامس عشر فلقد زاد انتشار الإسلام وكانت الغالبية فى إفريقيا

السوداء للمذهب المالكي، وإن كانت قد ظهرت بعض التحديدات والفرق، أو الطرق بين المسلمين فى الإقليم الواحد فأصبح هناك القادرية والتيجانية ، وجاءت بعدها السنوسية.

وكانت هذه هى المراحل المختلفة، وفى خطوطها العريضة، والتي ساعدت على إنتشار الإسلام فى الفاره الإفريقية، ومن الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب حتى أصبح النصف الشمالى من القارة الإفريقية يدين بالإسلام ، وحتى أصبحت نسبة المسلمين هى الغالبة على القارة الإفريقية فى الوقت الذى بدأ فيه الاحتكاك بين هذه القارة وبين العناصر الأوربية فى عصر الكشوف الجغرافية.

وسنشرح إنتشار الإسلام فى القارة الإفريقية، والمرحلة التى وصل إليها سياسيا وحضاريا وقت الكشوف الجغرافية فى المناطق المختلفة للقارة بادئين بالسودان ثم شرقى إفريقيا، لكن سنمر بعد ذلك مع غرب إفريقيا والسلطنات الإسلامية التى وجدت فيها ذلك العصر مثل سلطنة مالي وسلطنة برنو.

٢) الإسلام فى السودان:

كانت طرق القوافل تردط مصر بالسودان منذ أقدم العصور وكما ذكرنا كان النيل هو الشريان الحيوى الذى يوحد بين سكان الوادى فى الشمال وفى الجنوب منذ فجر التاريخ، وحتى الحضارة التى نشأت فى الإقليم الشمالى من السودان فى العصور القديمة، وهى حضارة نباتا كانت إمتدادا وتكاملاً مع الحضارة المصرية القديمة فى الجزء الشمالى من الوادى.

وبعد دخول الإسلام إلى مصر كانت هناك بعض المواقع السودانية التي احتفظت بديانتها المسيحية لفته من الوقت مثل مملكة مقرة في إقليم النوبة، ومملكة علوه في منطقة النيل الأوسط، وكانت وراءها مملكة الحبشة ومملكة أكسوم المسيحية كذلك ، وفي الوقت الذي دخلت فيه مصر إلى الإسلام لم تحاول فرض نفسها بحد السيف على مملكة المقرة لكي تجبرها على الدخول في الإسلام وبعد احتكاكات بين الطرفين ثم التوصل إلى نوع من الهدنة بين والى مصر وبين هذه المملكة تسمح للتجار العرب والمسلمين بالمرور في هذه المملكة متجهين صوب الجنوب، وإلى أنحاء السودان المختلفة وكانت نفس هذه الإتفاقية تسمح لأبناء مملكة المقرة بالحضور إلى مصر كأفراد عاديين وبدون أن يحملوا أى سلاح ، ومرة جديدة نجد أن الإسلام لم ينشدر بحد السيف وفي إتفاقيات لاحقة نجد ضمانا للمسجد الذى بناه المسلمون في مدينة دنقلة مما يدل على إنشار الإسلام فيها رغم أن ملكها كان مسيحيا ولقد استمر الوضع كذلك حتى القرن الثانى عشر ثم الثالث عشر والذى ظهر فيه خطر الحروب الصليبية على مصر وفى ذلك الوقت زاد ضغط المسلمين على هذه المملكة حتى دخل ملكها فى الإسلام ، وبعد أن كانت هذه المملكة تدفع الجزية لمصر رفعت عنها الجزية نتيجة لدخولها إلى الإسلام.

وفى نفس الوقت كانت قبائل البجة تحتل منطقة هامه قرب سواحل البحر الأحمر، وتمتد من حذاء أسوان إلى كل من الأفاليم الواقعة فى شرقى السودان وأمام ضغوط الهجرات العربية من الشمال أى من مصر مع زيادة التعامل التجارى مع

الحجاز عبر البحر الأحمر ثم دخول هذه المنطقة كذلك إلى الإسلام خاصة وأن مصالحتها قد أصبحت مرتبطة بمصالح المسلمين في كل من الشمال والشرق.

وهكذا نجد أن الهجرات العربية كانت هي صاحبة الفضل الأول في نشر الإسلام في السودان الأمر الذي تطلب وقتاً طويلاً إمتد منذ دخول الإسلام في مصدر حتى القرن الثامن عشر، ولكن الإسلام دخل قويا في هذه البلاد إذ أنه جاء للاختلاط بين العناصر القادمة وبين الأهالي إنتهى إلى الإنبهار بين القيادات والرئاسات، وتطابق المصالح مما ادى تلقائياً الى الوصول إلى النتيجة الحتمية وكانت هذه الهجرات سلمية ولم يكن القائمين عليها منشغلين بأمر الدعوة للإسلام بل كان مجرد مجيئهم وبقائهم في هذه المناطق هر الكفيل بتجميع حولهم وزيادة دخول السودانيين في الإسلام ثم كان سقوط مملكة المقررة بشكل نهائى أكبر تدعيم لحركة نشر الإسم في السودان وانتشرت قبائل جهينة صوب الجنوب وعبر المنطقة التى تسكن فيها قبائل البجة كذلك مع النيل جنوباً ، وإحتلت المناطق التى تقع بين النيل وبين العطيره حتى وصلت إلى حدود الحبشة • ولقد تمكنت هذه القبائل الحربية من أن تتزغل سيماً عبر أراضى المملكة. المسيحية الثانية وهى مملكة طوة • دون أن نواجهها مقاومه من سلطات هذه الدولة وهنا أيضاً نبعد أن الكثير من عناصر هذه القبائل تتصاهر مع أمراء مملكة علوة ، وبشكل زاد من نفوذ العرب والمسلمين فى هذه المملكة وأخيراً تمكن هؤلاء العرب من التحالف مع الفونج القادمين من الجنوب ، وخرىوا عاصمتها سوبا فدانت المنطقة بالإسلام •

وقد تأثر السودان كذلك بتيارات إسلامية أخرى اتت من الشمال وعبر طريق ضرب الأربعين إلى كردمان وإلى دارفور فى الوقت الذى وصلت فيه نفس هذه التيارات إلى وادى وتشاد ومهدت الطريق امام إنتشار الاسلام فى الجزء الشمالى من السودان.

وفى عصر فجر التاريخ الحديث كان هناك ثلاث سلطنات إسلامية فى السودان: الأولى هي سلطنة الفونج فى منطقة النيل الأزرق والثانية هي سلطنة دارفور فى غرب السودان والثالثة هي سلطنة تغلي فى السودان الأوسط.

ولقد إنتشر الإسلام والثقافة العربية فى ربوع السودان كما ظهرت الإمارات والسلطنات الإسلامية هناك، وكانت نشأة سلطنة الفونج وسلطنة دارفور تدل على مجئ الإسلام إلى السودان من منافذ أخرى علاوة على مجيئه من الشمال وأدى ذلك إلى ظهور حركة إسلامية كبيره وواضحة فى منطقة سناره فى الجنوب ثم إتجاهها نحو الشمال متعاونة فى ذلك مع العناصر الإسلامية التى أتت من الشمال صوب الجنوب، وهذا يدل على تحول الكثيرين من السودانين إلى الإسلام، وقيامها بدورهم فى نشر الإسلام وفى تعاون مع العناصر العربية الوافدة من الشمال.

أما فيما يتعلق بسلطنة الفونج الإسلامية فهناك إختلاف بشأن أصلها: فلقد أرجع البعض هذا الأصل إلى أنها من قبائل الدلك فى أعالى النيل الأبيض فى الوقت الذى أرجع الآخرون أصلها إلى عناصر وفدت من دارفور، أو حتى من برنو، وادعى آخرون أنها من أصل عربى وعلى أى حال فلقد نشأت سلطنة الفونج فى حوض النيل الأزرق وبنهاية القرن الخامس عشر أى فى الوقت الذى كانت فيه الكشوف الجغرافية، ومحاولة البرتغاليين الصوول إلى المحيط الهندى قد بدأت فيه ولقد تحالف الفونج مع

العناصر العربية الآتية من الشمال، ضد مملكة علوة، ويشكل أدى فى النهاية إلى القضاء على هذه الدولة وظهور سلطنة الفونج الإسلامية والتي إتخذت سنار عاصمة لها وإمتدت أرضيها من النيل الأبيض فى الغرب حتى سواكن فى الشرق او الشمال الشرقى، أما من الشمال فلقد وصل نفوذها حتى الشلال الثالث؛ حيث كاد يبدأ من هناك نفوذ سلاطين المماليك فى مصر .

وكان سلاطين الفونج يحتفظون لأنفسهم بسلطة لا مركزية وهى سلطة أعلى من السلطات المحلية، والتي كانوا يتركونها للملوك المحليين أو الملوك الذين كانت سلطاتهم لا تزيد فى حالات كثيرة عن سلطة شيخ القبيلة ، والذين تمتعوا تحت سيطرة سلاطين الغونج بنوع من الإستقلال فى نظير دفعهم الضرائب للسلطان وكان هذا البنيان يتطلب من السلطان مداومة التنقل فى أقاليمه المختلفة ، مارا على من يتبعه من الأمراء المحليين.

ولقد تمكنت هذه السلطنة من السيطرة على كل منطقة النيل الأزرق ، ومنطقة فازوغلى وحتى بلاد الشلك فى الجنوب، وإستمرت هذه السلطنة موجودة حتى القرن الثامن عشر حين بدأ الضعف إليها ، وبدات بعض العناصر تخرج عن سيطرتها وبعد أن كانت قد بدأت تاريخها كقوة إسلامية مجاهدة حينئذ مملكة علوة المسيحه خضعت لعوامل الضعف وزاد ظهور التفكك على أنحائها ولكن مما لا شك فيه أن هذه الدولة عملت على نشر الإسلام فى المناطق المحيطة بها وكانت لها صلات وثيقة بالعناصر العربية الاسلامية الموجودة على سواحل البحر الأحمر وخاصة فى الوقت الذي وصل فيه العثمانيين إلى هناك . كما أنها ساهت في نشر الإسلام فى منطقة النوبة ومنطقة

كردفان، كما عملت على نشر الإسلام صوب الجنوب والجنوب الغربي، وكان هناك وقائع حربية بينهم وبين الأحباش امتدت حتى القرن الثامن عشر، وكانت لهم صلات ثقافية مع مصر وبخاصة مع الجامع الأزهر واشتهرت هذه الدولة بوجود الفقهاء المسلمين فيها الأمر الذى ساعدها على نشر الإسلام في ربوع السودان، وكانت لهم صلات ثقافية كذلك مع المراكز الإسلامية فى شمال إفريقيا، وكذلك مع الحجاز وحتى مع العراق وستظل هذه السلطنة موجودة وإن كانت فى شكل يغلب الضعف حتى وقت دخول قوات محمد على إلى السودان فى القرن التاسع عشر.

أما سلطنة دارفور والتي نشأت فى هذا الإقليم الغربي من السودان فإن هناك ما يشبه الإجماع على أن الأسرة الحاكمة فيها كانت من أصل عربى ، وكانت هذه المنطقة تشتمل على عدد من الأهالي السود، وغرهم من السمر مع عدد من المهاجرين الذين وصلوا إليها من مصر أو تونس أو الحجاز، ومع وجود المهاجرين العرب والمسلمين يسهل أمر التزاوج ووصول أحد السلاطين من أصل عربى إلى الحكم ، وبعد وجود هذه الأسرة فى جبل مرة اختلطت بعناصر سودانية أخرى وكذلك بعناصر من البربر وصلت إليها من وادى بعد غارة بني هلال على شمال إفريقيا.

ولقد امتدت هذه السلطنة على المناطق الغربية من السودان وكذلك على مناطق بحر الغزال ووصلت إلى أعالي الكنغو وإلى حوض الأوبانجى ، ورغم أن هذه السيطرة كانت شبه إسمية فى المناطق المتطرفة ، إلا أنها ساعدت على نشر الإسلام فى هذه المناطق ، وكان هذا دليلا على الصلات التى نشأت نتيجة للمصالح وأدت بالتالى إلى ازدهار الحياة الثقافية فى المنطقة نتيجة للتجارة والإثراء منها.

وكانت النظم الموجودة فى هذه السلطنة تدل على إمتزاج النظم التى سادت فى سلطنة الغونج فى الشرق وفى السلطنات التى نشأت فى السودان الأوسط والسودان الغربى فى نفس الوقت، ودل هذا على تعاون النفوذ الآتى من الشرق ومن الشمال مع النفوذ الذى اتى من الغرب ، وعن طريق شمال إفريقيا إلى هذه السلطنة وكانت تأتى إليها القوافل من المناطق البعيدة سواء من كردفان، ومصر وكذلك من موانئ إفريقيا الشمالية ، ومن السلطنات الاسلاميه الأخرى الموجودة في الغرب ، وكما حدث فى كل مكان كانت التجارة وقوافلها هى العامل الأساسى فى تنقل المسلمين وبالتالي فى نقل ونشر الدين الإسلامى إلى مناطق بعيدة، وكانت، القوافل تأتى إلى دارفور من مراكش عبر طريق السنغال و النيجر كما كانت تصل إليها من طرابلس الغرب عبر طريق غدامس وغات وكان لهذا الطريق فرع اخر يوصل إلى تونس، هذا علاوة على الطريق الذى كان يصلها بواحات مصر، وبالتالي بالقاهرة والإسكندرية ، والطريق الأخر الذى كان يوصلها بحوض نهر النيجر فى الغرب، ولقد ظلت هذه السلطنة موجودة فى غرب السودان ولها دورها الأساسى كدولة إسلامية فكانت لها علاقاتها ببقية الدول الإسلامية المجاورة ودخلت فى علاقات مع الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر واعترفت بخضوعها لها ، ولقد ظلت دولة مستقلة حتى دخلتها القوات المصرية عام ١٨٧٥م .

أما سلطنة تغلى فتقع بين السلطنتين السابقتين أى فى غرب النيل الأبيض، وكانت تضم الأقاليم الجنوبية من كردفان وهى منطقة تتخللها بعض الوديان وسكانها فى الأصل من الزنوج واختلطوا بالدم العربى.

ولقد قام أحد الجمالين، من القرن السادس عشر ، بتأسيس هذه السلطنة وكان فى الأصل من المذطقة الواقعة قرب مصب العطيره ولقد استمرت هذه السلطنة أعداد مختلفة من العرب والمسلمين من المناطق المجاورة ، وخضعت هذه السلطنة لتأثيرات من سلطنة الغونج ، من سلطنة الفور وكذلك من المناطق الموجودة فى بحر الغزال، وكانت قوة إسلامية لها وزنسها بحكم موقعها الجغرافى بالنسبة لتوازن القوى الإسلامية الموجودة فى السودان ، وكذلك بالنسبة لمرور الكثير من طرق القوافل فى المنطقة والتي كانت تربطها بالأبيض فى الشمال، والفاشر فى الشمال الغربى هذا علاوة على وجود الذهب فى جبال النوبا.

وهكذا نجد أن السودان قد أصبحت له حضارة وثقافة إسلامية نتيجة التنقل والهجرات، ونتيجة لتبادل المصالح مع الأقاليم المجاورة له ، ولقد شهدت الحضارة الإسلامية ازدهارا كبيرا فى الأقاليم السودانية ، مستعينة فى ذلك بالمناخ والوسط الإسلامى الذى كان يحيط بالسودان من معظم الجهات فكان هناك إتصال السودان بمصر ، والذى أملتة ظروف الطبيعة ، ونهر النيل وكذلك عوامل التبادل التجارى وتبادل المنافع، وكانت الصلة بمصر وثيقة طوال عصور التاريخ وكان هناك إتصال السودان بالحجاز كذلك العلاقات التجارية علاوة على ذهاب السودانين إلى الحجاز فى موسم الحج، وقد ساعد ذلك على تدعيم علماء السودان بالفكر والثقافة الموجودة فى الحجاز ، وعن هذا الطريق وفد إلى السودان الكثير من رجال الفكر والشرع ، وكذلك رجال الطرق الصوفية . كما كان هناك اتصال السودان ببلاد المغرب الإسلامى الأمر الذى أمد السودان بنفحة جديدة من اخواته المسلمين فى الشمال الإفريقى وبالاختصار

اصبح السودان يمثل ثلاث حلقات متداخلة فى بعضها: فهو سودانى وإفريقى وعربى، وهو مسلم قبل كل شئ.

(٣) الإسلام فى شرق إفريقية:

كانت الصلات بين شرق إفريقية وبين الجزيرة العربية موجودة منذ العصور القديمة ومع ظهور الإسلام عبر مجموعه من المهاجرين الأول كما ذكرنا إلى الحبشة وكان هذا يدل على سهولة الاتصال بين الجزيرة العربية وبين شرق إفريقية فى هذه المنطقة، وخاصة مع صغر المسافة اللتى يعبرها المسافر ويقطع بها بوغاز باب المنذب.

وكانت العلاقات جنوب الجزيرة العربية مع بلاد الصومال قديمة كذلك كما كان الحال فى علاقات حضر موت مع الساحل الشرقى الإفريقى نتيجة لوجود البحارة العرب فى هذه المنطقة، ولقد تمرن البحارة العرب على الملاحة إلى السواحل الشرقية من القارة الإفريقية، ودفعتهم ظروف المعيشة الصعبة فى هذه المناطق إلى ركوب البحر إما من أجل العبيد وإما من أجل نقل التجارة من شرق القارة الإفريقية ومن شبة القارة الهندية، إلى جنوب الجزيرة العربية لكى تستمر بعد ذلك فى سيرها مع طرق القوافل اللتى تسير فى البحر الأحمر حتى السويس أو القوافل العربية اللتى تسير من اليمن عبر الحجاز ثم إلى موانى الشام على البحر الأبيض المتوسط. فكان بحارة بحر

العرب هم أقدر الملاحين على الملاحة فى المحيط الهندى الأمر الذى أدى إلى سهولة وصولهم إلى الهند ووصولهم كذلك حتى جزر جارة وسومطرة ، و إقامة الجسور بين هذه المناطق المختلفة التى تطل على المحيط الهندى.

ولقد أدى كل ذلك إلى تبادل جزء من السكان بين الأقاليم المختلفة التى تطل على المحيط الهندى : فنجد بعض أبناء الملايو وسومطرة على سواحل إفريقيا الشرقية، وكذلك بعض أبناء عمان والخليج الفارسى علاوى على عناصر كثيرة من حضرموت واليمن أما فى بلاد الصومال فيكثر عدد اليمنيين والعدينيين ، وفى داخل البحر الأحمر نجد الكثير من أبناء اليمن مع بعض القبائل العربية إلى جوار الدناقل على الساحل الإفريقي.

وهذا الانتقال بين الأهالي ساعد بعد ظهور الإسلام على انتشار الإسلام فى هذه المناطق الإفريقية شرق إفريقيا، ولقد عمل الكثير من المسلمين فى التجارة، وانشأوا لهم المخازن والمتاجر على سواحل إفريقيا الشرقية، وفى الموانى العديدة الممتدة على الساحل من موزمبيق فى الجنوب وعبر ساحل البنادر حتى بلاد الصومال ثم الدناقل.

وكان التجار العرب والمسلمون فى شرق إفريقيا على درجة من الثراء الأمر الذى أدى بهم إلى تكوين أرسنطراطية تجارية إسلامية فى المواقع التجارية المختلفة على هذا الساحل، وكانوا يهتمون بالتجارة قيل أى شئ اخر، وظهرت هذه المدن أو هذه البنادر فى شكل وحدات مستقلة أو شبه مستقلة الواحدة فيها عن الأخرى، وفى شكل حبات عقد طويل على ذلك الشريط الساحلي فى شرق إفريقيا، وكان التجار فى كل موقع هم الذين يقولون الكلمة الأولى فيما يتعلق بشئون الحكم وشئون الإدارة، وكانت

لهم سبقتهم متى تقلع إلى جنوب الجزيرة العربية أو الخليج الفارسي أو الهند، وكانت لهم فى نفس الوقت قوافل التجارة البرية التى تتوغل فى داخل القارة المتجهة صوب الغرب، وعبر الصحارى والبحيرات والغابات صوب المناطق الاستوائية الغنية، والتى كانت تعود منها محملة بالمنتجات الاستوائية اللازمة إسا لأوربا عن طريق منطقة الشرق الأوسط وإما للهند والشرق الأقصى عن طريق موانى عمان عند مدخل الخليج الفارسي.

وكان معنى إنتشار التجار المسلمين فى هذه المنطقة هو إنتشار الإسلام عن الأرسقراطية المتاجر منذ ظهور الإسلام، ولقد تأثر المذهب السائد فى شرق إفريقيا بالتغيرات السياسية الكبيرة التى حدثت فى الدولة الإسلامية ، فوفدت إلى شرق إفريقيا فى عصور مختلفة مجموعات من الشيعة وفى عصور أخرى مجموعات من الخوارج حسب التغيرات التى وقعت.

وكانت قوافل هؤلاء التجار تستخدم الرقيق فى الخدمة والحراسة وتحميل البهائم وتنزيل حمولتها وكان العبيد يعتبروه قوة عمل لدى صاحب راس المال أما سفنهم فى بحر العرب وفى المحيط الهندى وكانت أكبر مدرسة ملاحية موجودة فى العالم فى ذلك الوقت وكان العرب قد سبقوا غيرهم فى تحسين فنون الملاحة نتيجة لاستخدامهم الإبرة المغناطيسية، والإسطرلاب، والدفة المتحركة كما كانوا على خبرة كبيرة بالرياح وحركة الأمواج فى المحيط الهندى، وكانوا هم الذين يحتكرون تجارة الشرق الأقصى حتى تصل إلى زملائهم تجار الشرق الأدنى فى سلطنة المماليك فى كل من مصر والشام فىقومون بإعادة تصديرها إلى الموانئ الأوربية المطلة على البحر المتوسط مثل جنوة

والبنديقية ، ولذلك فإن دورهم الاقتصادي فى التجارة العالمية على جانب كبير من الأهمية وفى تكامل مع إخوانهم سلطنة المماليك وهذا ما سيجعل البرتغاليين يصطدمون بهم، ويعنف حتى يصلون إلى المحيط الهندى حتى يحطموهم ويستولون منهم على تجارة الشرق الأقصى، بعد أن سيطروا على الملاحة فى المحيط الهندى .

وعلى أى حال فإن هذه المراكز التجارية طئ سائل البنادر والسائل الشرقى لإفريقية كانت مراكز إشعاع إسلامي، وترتفع فيها المآذن ويقم فيها العلماء وتنتشر منها الثقافة الإسلامية مع القوافل التجارية صوب الداخل، وصوب أوغندا وبحيرة تيجانيقا، وحتى الكونغو إنه المنهج الإسلامي، بل الشخصية الإسلامية للقارة الإفريقية وقت مجئ البرتغاليين إلى هذه القارة .

هذا عن الإسلام فى السودان، وفى شرق إفريقيا، وعلينا بعد ذلك أن نلقى نظرة على الإسلام فى غرب إفريقيا استكمالاً لعرض الموضوع .

(٤) انتشار الإسلام فى غرب إفريقيا:

لقد ساد الاعتقاد لفترة طويلة بان المرابطين هم الذين اول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الغربى، اى ان دخول الإسلام إلى هذه المناطق يرجع إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، ولكن هذا الاعتقاد لا يستند إلى أساس خاصة وأن عددا من المؤرخين رأوا هذه المناطق وكتبوا عنها، وفى فترة سابقة وذكر أن الإسلام منتشر فى هذه المناطق منذ فترة القرن السابع الميلادى نفسه، ولقد كتب أحمد بابا أن مدينة غانا كانت تضم اثنا عشر مسجدا وفى القرن السابع . كما أن سلطنات إسلامية قامت منذ

القرن التاسع الميلادى بدور كبير في نشر الإسلام فى ربوع السودان الغربى، و كانت بعض هذه السلطنات قد تشكلت في بلاد البربر وكان رجالها من رجال صنهاجة.

ولقد تكاثفت عوامل كثيرة من أجل نشر الإسلام فى ربوع السودان الغربى: فكان هناك التجار المسلمين الذين يصلون من الشمال أى من بلاد المغرب كما كان هناك الدعاة والذين كانوا يصلون من وادى النيل ومصر ويتعاونون مع إخوانهم القادمين من بلاد المغرب العربى من أجل نشر الإسلام فى هذه البلاد ولقد استمرت هذه الحركة وبطريقة حية ومنتالية عبر قرون العصور الوسطى وعملت على ربط السودان ببقية مناطق إفريقيا الشمالية، وفى المجالات الثقافية والدينية علاوة على ربطها فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية.

وكانت المواصلات قد سهلت مع هذه المناطق منذ استقدام الجمال إلى القارة الإفريقية واستخدامها فى السفر وفى نقل السلع وكانت طرق القوافل المعروفة تربط بلاد المغرب العربى بمصر من الشرق إلى المغرب وفى محاذاة الساحل و كانت هناك طرق أخرى عديدة تبدأ من هذا الخط الشمالى وتتجه صوب الجنوب وتصل كل من تونس والجزائر والمغرب ببلاد الصحراء ثم تصل بعد ذلك أقاليم السودان الغربى والسودان الأوسط وكانت هناك بعض الطرق التى تأتى من الواحات المصرية وتصل حتى واحة الكفرة ثم تتجه منها صوب الجنوب الغربى لى تصل إلى أواسط نهر النيجر بعد أن تمر بأقاليم تشاد وبحيراتها، وإذا كان هذا الطريق الأخير على درجة كبيرة من الصعوبة فى جزئه الأول إلا أن أهمية مصر التجارية والثقافية كانت تدفع البعض إلى اجتيازه بالقوافل، ورغم الصعوبات لى تصل إلى أهدافها بطريقة مباشرة.

ولقد درج معظم المؤرخين على الالتفات إلى ذلك الفرع الضخم الذى خرج من بلاد المغرب العربي عبر مضيق جبل طارق لكي يوصل الإسلام والمسلمين إلى بلاد الأندلس والسيطرة على شبه جزيرة إيبيريا ثم الانسياق بعد ذلك فى فرنسا نفسها عبر جبال البرانس حتى تور وصوب يونانيه ولقد جعلت أهمية هذا الفرع كتاب ومؤرخى الإسلام يتناسون ذلك الفرع الآخر أو مجموعة الفروع التى تفرعت من بلاد المغرب العربي صوب الجنوب، وعبر الأقاليم الصحراوية لكي تصل إلى كل من السودان الغربى والسودان الأوسط وامتدت هذه الفروع كما ذكرنا مع طرق القوافل وعبر المناطق الصحراوية والتي كانت تسكنها عناصر البربر والطوارق والملثمين صوب اقاليم السفانا ثم الأعشاب والأشجار فى اتجاه الغابات الاستوائية أى عبر بلاد السودان صوب إفريقيا السوداء وكانت هذه الفروع شرايين حياه تسير عليها منذ أقدم العصور قوافل التجارة ومعها بعض العلماء ثم أصبحت تشهد منذ ظهور الإسلام ومنذ القرن السابع الميلادى قوافل الحجاج فى ذهابهم إلى الأراضي المقدسة ثم عودتهم منها •

ولقد تزايد عدد المسلمين فى السودان الغربى وباستمرار وحتى ظهور المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى وهم الذين عملوا على تدعيم الإسلام وبشكل ثابت وإبعاد ما يكون قد بقى منه من شوائب قديمة؛ وبخاصة فى المناطق المتطرفة من العالم الإسلامى ، وفي هذا المجال نجد أن دورهم كان حاسماً وفعالاً فى كل من السودان الغربى وعبر كل الصحراء الكبرى •

و المرابطون يرجعون فى أصلهم إلى بربر صنهاجة ولقد ألتف منهم ما يقرب من الألف حول عبد الله بن ياسين الجدولى في جزيرة صغيرة قرب مصب نهر السنغال

واسموا أنفسهم بالمرابطين دلالة على ترابطهم كمجاهدين وفى رباط هو موقع عسكري يصيرون فيه على الثبات والجهاد فى سبيل الله، ولقد نشطوا فى نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة وأسلم على أيديهم الكثيرون من بربر الصحراء ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الجهاد فى بلاد السودان وتمكنوا من اجتذاب الكثير من زعماء بلاد التكرور والسودان الغربى، وسيطروا على عاصمة إقليم غانا ويقول القلشقندى: " فلما أسلم المثلثون من البربر تسلطوا (على ملوك السودان) بالغزو حتى دان الكثير منهم بالإسلام ولقد أرسل المرابطون العلماء بين قبائل السودان الأمر الذى ساعد بالتالى على تنشيط وسائل الاتصال التجاري والثقافي بين بلاد السودان وبين بلاد العالم الإسلامي مما ساعد على نشر الأفكار وحتى الحضارة الإسلامية فى ربوع السودان، وكان المرابطون هم الذين انشأوا مدينة تنيكتو على نهر النيجر، وهى التى أصبحت من بين أهم المراكز الإسلامية الثقافية والتجارية فى بلاد السودان الغربى.

ولقد انتشر الإسلام فى بلاد السودان الغربى ابتداء من الطبقات العليا ثم استمر انتشاره بعد ذلك حتى وصل إلى العامة، ورغم قلة ما دونه المؤرخون عن تاريخ السودان فى فترة العصور الوسطى الا اننا نعرف أن بعض ملوك السودان الغربى قد ذهبوا إلى الحج، وأصبح السلاطين التاليين يقتفون اثارهم فى الوصول إلى هناك .

وكان من الطبيعي أن تظل بعض الطقوس الوثنية منتشرة بين الأهالي فى السودان الغربى لفترة من الزمن وحتى بعد إسلام السلاطين وزيادة عدد العلماء و التجار المسلمين فى البلاد ، وكانت بلاد السودان شاسعة وتضم الكثير من القبائل التى يعمل بعضها بالرعى وبالصيد ، وفى الوقت الذى يعمل فيه غيرهم فى استخراج

الذهب أو استخراج الملح ، وكان من الطبيعي كذلك أن تستمر بعض المعتقدات مثل السحر وبشكل يعتبر قوة مؤثرة ولفترة طويلة ولكن مجهودات المرابطين مع استمرار الاحتكاك عن طريق التجارة والعلماء ساعد على استمرار انتشار الإسلام و اختفاء العناصر الوثنية ومعتقدات السحر من تفكير الأهالي على مر الزمن ، وأصبحت هناك شعوب فى السودان الغربى مثل شعب الماندنجو تتميز بشدة تمسكها بالإسلام وبتحمسها له علاوة على كونه الدين الرسمى لدولتهم وكان إنتشار الإسلام فى السودان الغربى يسير مع المذهب السنى المالكى دون غيره من المذاهب •

ولقد شهد ابن بطوطة فى زيارته لدولة مالى فى أواسط القرن ارباع عشر شدة تمسك الأهالي بالإسلام وعملهم على ضرورة حفظ أبنائهم للقرآن وفى صلاة الجمعة كانت المساجد تمتلئ بالمسلمين رغم إنتشارها فى البلاد وكان الأهالي يبكرون بالذهاب إلى المساجد يوم الجمعة حتى يجدوا مكاناً يصلون فيه ولقد تمتع العلماء بمكانة سامية فى هذه الدولة و كانوا يتولون ارفع المناصب فيها ولقد اشتهرت دولة مالى علاوة على اعتناقها الاسلام وحرصها على علومه بالدعوة للإسلام والعمل على نشره وبشكل جعل منها أهم قوة عملت على نشر الإسلام فى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء وإقد اقتزنت جميع فتوحات هذه الدولة العسكرية بالدعوة الإسلامية حتى قال المؤرخون عن ملوكها انهم كانوا فى جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاورهم من كفار السودان ولقد نشروا الإسلام بين مجموعات الهوسا كما نشروه فى كانوا ثم أتو إلى هذه البلاد بالكتب الإسلامية لتعليم الدين وأصول الفقه ولقد بلغ عدد رجال الإسلام فى جنى عاصمة المندنجو ما يقرب من أربعة آلاف فى القرن الثانى عشر، وكان هذا يدل على نشاط

الدعوة الإسلامية فى هذه البلاد حتى مع أخذنا فى الاعتبار بإمكانية التهويل فى الأرقام.

ولقد انتشر الإسلام فى كل من السودان الغربى والسودان الأوسط مع أكبر القبائل الأمر الذى ساعد على سرعة انتشاره والذى أدى إلى قيام سلطنات إسلامية كبيرة فى جموع بلاد السودان الغربى والأوسط ومن المحيط الأطلسى شرقاً صوب مملكة سنار فى حوض وادى النيل وعلينا أن نلاحظ أن الإسلام قد جاء إلى بلاد السودان وإلى السودانين وهم سادة اقاليمهم واطنانهم ويتمتعون بكامل حريتهم وإذا كان لدعاة الاسلام من عرب وبربر نصيب فى النفوذ فقد كان هذا النصيب روحياً الأمر الذى جعله مقبولاً وعن رضا وإقتناع.

وكان المعلمون المسلمون يرون التقاف الأهالى حولهم فيأخذون فى مساعدتهم على حل مشكلاتهم دون إجبارهم على الدخول فى الإسلام وكان هؤلاء الدعاة يمتزجون بأبناء السودان بالمصاهرة ويختلطون بهم ويذوبون فى المجتمع الأفريقي ونتج عن ذلك تقبل السودانين للإسلام وقيامهم بدورهم بنشره بين غيرهم من السودانين •

كما أن دخول الإسلام فى هذه المناطق حافظ على النظم الاجتماعية الموجودة فنتج عنه تدعيم البنيان الموجود فى غرب القارة الإفريقية مع اختيار السودانين أنفسهم لدين الله الحنيف وجاء الإسلام من مصر والحجاز وبلاد المغرب دون وجود أى اتجاه للسيطرة على بلاد السودانين وشعر الوطنيون بأنهم مع إسلامهم سيظلون سادة على انفسهم وعلى بلادهم ، ومرتبطين دائماً بماضيهم وبجزء من المجتمع الأفريقي وكان حض الإسلام على المساواة وكفالة الحقوق للمجتمع مهما كان لونهم وجنسهم من

العوامل الفعالة في انتشار الإسلام وثبوته تى قلوب وعقول السودانين الغربيين وعمله على تطوير بلاد السودان وظهور سلطنات قوية فيها مثل دولة مالى وسلطنات صنغاي وبورنو وغيرها.

٥ (سلطنة مالى:

تعتبر دولة مالى من بين اقوى وأغنى الدول الإفريقية التى ظهرت فى السودان الغربى، والتي قامت بدور كبير من أجل توحيد القبائل السودانية وفى ظل نشر الإسلام فى كل منطقة إفريقية الغربية فهى أعظم ممالك السودان وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين وأحسنهم حالاً وأقهرهم للاعداء كما يقول العمرى •

ولقد قام بتأسيس سلطنة مالى قبائلى الماندنجو والتي تمكنت من ان تسيطر ولمدة عدة قرون على مناطق السودان الشاسعة الممتدة من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي والتي اشتملت على مناطق نهر السنغال ومناطق كثيرة من نهر النيجر وفروعه، وتدعى هذه القبائل لنفسها أنهم سودان فى الأصل.

ولقد اشتهرت سلطنة مالى كذلك باسم بلاد التكرور وبخاصة فى مصر، وإن كان هذا الاسم فى حقيقته يطلق على إقليم معين من أقاليم سلطنة مالى، و ليس على كل السلطنة وتستخدم كلمة تكرورى فى السودان الشرقى للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربى وهكذا نجد أن سلطنة مالى عرفت فى بعض الجهات باسم دولة الماندنجو وفي غيرها باسم سلطنة التكرور.

وتاريخ سلطنة مالي قديم رغم قلة ما ورد عنه فى كتب التاريخ وأرجعه البعض إلى ما قبل الهجرة النبوية ويهمننا منه تاريخ الفترة الأخيرة من هذه السلطنة وهى فترة أوجها والتي تمهد لنا بالدخول فى تاريخ السودان الغربى فى العصر الحديث.

وكادت سلطنة مالي فى عهد أحد الأسرات العديدة التى تولت حكمها أن يقضى عليها نتيجة لهجمات قبائل الصوصو طيها وبعد مذابح كثيرة تمكن أحد الأمراء من إعادة سلطته على الإقليم وهو سندياتا المعروف باسم مارى حاطه والذي حكم فى الربع الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى ولقد استعان هذا الأمير بمجموعة من الفدائيين لحفظ الأمن فى الداخل ولتكوين نواة لقواته المسلحة التى اخذت فى نشر سلطته على القبائل المجاورة ثم أعد جيشا كبيرا تمكن به من هزيمة إمبراطور صوصو الذى قتل فى المهركة .

ولقد اتسعت سلطنة مالي وامتدت إلى مسافات بعيدة فى الصحراء ولكن مارى جاطة أحجم عن مهاجمة مدينة ولانة ، والتي زارها ابن بطوطة بعد ذلك رعاية لمن لجأ إليها من المسلمين واعتصم بها أمام غزوة الصوصو وكان بين هؤلاء المسلمين عدد كبير من الفقهاء والتجار كما فتح مدينة حتى جني الواقعة على نهر النيجر وعاصمة السلطنة الإسلامية التى عرفت بنفس الإسم والتي كانت خاضعة لدولة صنفاى، والتي لم تكن شوكتها قد قويت بعد كما نجح فى تحطيم مدينة كومبر صالح عاصمته سلطنة غانه والتي كان نجمها قد افل منذ هجرة العلماء والتجار المسلمين منها إلى ولانة وقت مهاجمة الصوصو لها وأنشأ مدينة جديدة على النيجر .

اتخذها عاصمة له، وهى مدينة نيافى والتي أصبحت تعرف بعد ذلك بإسم مدينة مالى ، وسرعان ما إحتلت سلطنة مالى مكانة سلطنة غانة السابقة كأعظم دولة حكمت فى السودان الغربى، وأخذ التجار والعلماء يفدون إليها من شمال إفريقيا ويقومون فى عاصمتها ولقد وصلت قوات مالى بعد ذلك إلى وادى نهر جامبيا فى أقصى الغرب وإلى مستنقعات التكرور وإلى بلاد الجلف ومن الأقاليم الجنوبية وامتدت سلطة هذه السلطنة صوب أقاليم مالى الشمالية والتي كانت تفككت أوصالها وضفت نتيجة لهجمات الصوصو عليها كذلك فتحوك بذلك دولة الماندنغو إلى سلطنة مالى الكبرى.

ولقد زادت شهرة بعض سلاطين مالى فى القرن الثالث عشر نتيجة لخروجهم من بلادهم وذهابهم إلى الحج مارين بمصر وقد مر أحدهم بمصر فى عهد السلطان الظاهر بيبرس الأمر الذى دعا الكتاب يفيضون فى وصفهم ووصف رحلته وبلاده.

ولقد زادت أهمية سلطنة مالى بعد بسط نفوذها على دولة صنغاي الصغيرة والتي كانت لا تزال فى دور النشأة فى حوض النيجر المتوسط ولقد امتعت جاو عاصمة هذه الدوله الصغيرة على قوات مالى وسيكون لهذه الدوله شأنًا كبيرًا فيها بعد، وعلى أى حال فقد سهل هذا التوسع على سلطنة مالى أمر السيطرة على مناجم الذهب الموجودة فى ونقارة •

وزادت شهرة مالى فى كل العالم الإسلامى، وحتى فى الدول الأوربية ونتيجة لضخامة ثرواتها وغناها الذى أصبح يضرب به المثل و رغم أن سلطنة غانه القديمه كانت قد اشتهرت بالثروة إلا أن ثروتها كانت ترجع إلى التجارة أما ثروة مالى فكانت

ترجع إلى سيطرتها على مناجم الذهب الموجودة في مذبقة ونقارة وكان أبناء السودان الغربى يبادلون الذهب بالملح والذى كان عزيزا فى بلادهم فتزايدت كمية الذهب الموجودة فى مالى أضعافا مضاعفة ولقد ظل السودان الغربى هو أعظم مصدر للذهب بالنسبة لعالم البحر المتوسط منذ العصور الوسطى و حتى إكتشاف أمريكا فى العصور الحديثة.

وكما رأيت سلطنة مالى ملوكا وسلاطين أقوياء مرت بها فترات حكمها فيها ملوك ضعفاء، وفترات حكم صغيرة ثم ظهر بعد ذلك سلاطين أقوياء ، عملوا على تدعيم الأوضاع الموجودة، وتدعيم السلطة ، وتوسيع نطاق الدولة ومنذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي وبعد فترة اضطرابات صغيرة عادت إلى سلطنة مالى السابقة ، والتي كانت لها قبل ذلك فى عهد ماري حاطه حين تولى حكمها السلطان موسى.

ويعتبر السلطان موسى من بين اعظم سلاطين دولة مالى ، وبلغت السلطنة فى عهده درجة كبيرة من القوة والثروة وزيادة النفوذ، وكان طموحا ومتقفا وعادلا كما كان يجيد الحديث باللغة العربية ولقد تمكن من إنشاء علاقات ودية مع الدول الإسلامية المعاصرة سواء فى مصر أو فى تونس والمغرب، وفتح بلاده للاجئين الوافدين من الأندلس بعد أن زاد اضطهاد المسيحيين لهم ؛ فى شبه جزيرة ليبيريا هذا علاوة على فتحه اقاليم عديدة فى السودان الغربى وضمها إلى سلطنة مالى فضم بقية دولة غانه، ثم استولى على إقليم زاعا، وفى هذه المرة تمكن من إحتلال جاو عاصمة غانه التى فتحها وبنى فيها مسجدا جامعيا ورغم أن مدينته تنبكتو قد قاومت إلا أن السلطان موسى تمكن من فتحها فى عام ١٣٢٩، ورجبت به الأهالي بعد أن كانوا قد

قاسوا من تحكم صنغاي وبنى بها دارا للحكم أو دارا للحاكم العام الذى كان يتبعه وإذا كانت بعض المناطق القريبة منه قد احتفظت لنفسها باستقلال نسبي فإن ذلك كان يرجع إلى رغبة السلطان موسى نفسه، وفرضه الجزية عليها ، وأصبحت دولة مالى الإسلامية فى ذروة مجدها فى هذا العهد وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا قرب سواحل المحيط الأطلسي إلى مناجم النحاس فى تكدة عند شرق النيجر، وامتدت من مناجم الملح فى تاغازة فى الصحراء شمالا إلى مناجم الذهب فى ونقارة فى الجنوب الغربي وسارت حدودها الجنوبية مع منطقة الغابات الاستوائية ويذكر بعض المؤرخين أن سلطنة مالى أصبحت تضم أربعة عشر إقليمًا أو مملكة فى السودان الغربى وكانت من بين اعظم الدول الموجودة فى العالم فى القرن الرابع عشر الميلادي وفاقت لشهرتها شهرة غيرها من الدول ، وخاصة مع اشتغالها على مناجم الذهب والنحاس والملح ، وسيطرتها على طرق القوافل والتي كانت تقطع الصحراء بين الشرق والمغرب ، وبين الشمال والجنوب.

ولقد ظهرت عظمة مالى فى ذلك الموكب الضخم الذى سافر به السلطان موسى لأداء فريضة الحج فى عام ١٣٢٤، مارا بالقاهرة، الأمر الذى جعل الجميع يتحدثون عنه وعن بلاده، وعن ثروات السودان الغربى ولقد سلك طريق القوافل الغربى الذى يبدأ من منحنى نهر النيجر إلى المغرب مارا بمدينة كومبى صالح عاصمة غانه ثم إلى توات فتونس ومنها إلى القاهرة، ويحكى أنه كان معه ستون ألف جندي وبصحبه خمسمائة عبد وذكر ابن خلدون أنه كان قد أعد لنفقته من بلاده مائة حمل من التير وفى كل حملة ثلاثة قناطير وذكر ترجمان التكرور بالقاهرة أن السلطان جاء

من بلده بثمانين حملاً من التبر ، وكل حمل ثلاثة قناطير ورغم إمكانية التهويل فى الأرقام وبشكل واضح إلا أنه كان موكباً يتميز بالفخامة والثراء خاصة وأنهم وضعوا السلطان فى ذلك الوقت بأنه ملك الذهب وبعد وصوله إلى القاهرة أوفد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعض كبار أمرائه لإستقباله ومرافقته، ولقد قابل السلطان موسى فى القاهرة السلطان الناصر وشهد التجار الأجانب بالقاهرة موكب هذا السلطان السودانى ، ولقد نشطت حركة البيع والسراء فى القاهرة مع اتباع السلطان موسى ، وزادت الأسعار بشكل واضح وإنخفض سعر الذهب فى القاهرة بسبب إغراقها بذهب السودان وبسبب كثرة الذهب فى أيدي الناس حتى ان سعر الذهب لم يرتفع بعد ذلك لسنوات طويلة.

وكان ضيفا على سلطان مصر، وفى الحجاز وضح كرمه وإحسانه على الحجاج وأقام هناك ثلاثة شهور قبل عودته بع ذلك إلى السويس، وعاد إلى بلاده فى عام ١٣٢٥م.

ولا شك فى إن إنتشار شهرة مالى، وانتشار أخبار موكب الحاج موسى فى أوربا كانت لها آثارا ضخمة وبخاصة فى ذلك الوقت الذى كان الأوروبيون يحاولون معرفة القارة الإفريقية، وإمكانيات هذه القارة ولقد ظهرت بعض الخرائط الجغرافية الأوربية فى ذلك الوقت تحمل بعض المواقع السودانية الغربية مثل تاغازه وتنبكتو وجاو ومالي ، وكانت نقطة تحول كبيرة بالنسبة لإفريقية، وفى وقت كان الأوروبيون فيه يفكرون فى الذهب وكان ذلك من بين الحوافز التى تدفع الأوروبيون لمحاولة زيادة معارفهم عن القارة الإفريقية فى وقت التمهيد لعصر الكشوف الجغرافية.

وفى المنتصف الثاني من القرن الرابع عشر أخذت قبائل موش فى شن الهجمات على مالى وقامت بعمليات النهب والتخريب، وهاجمت مدينة تيبكتو، والذى كانت بها سفارة من طرف أبى الحسن المرينى سلطان المغرب الأقصى ثم فقدت دولة مالى مدينة جاو عاصمة صنغاي بعد ذلك ورغم إهتمام سلاطين مالى بتدعيم الإسلام ونشره وبناء المساجد إلا ان سلطتهم أخذت فى الضعف.

ثم حضر إلى مالى بعد ذلك الرحالة الشهير ابن بطوطة مكافا من السلطان أبى عنان بدراسة الطرق التجارية الوقوف على حجم التجارة فى الذهب وحجم التبادل التجارى بين السودان ومصر تمهيداً لما يتخذه من قرارات ومواقف وهذه الرحلة هى التى أعطتنا الكثير من المعلومات عن سلطنة مالى الاسلامية ، وكذلك عن بقية الرحلة من مدينة فاس فى عام ١٣٥١ ووصلت مالى فى العام التالى ثم غادرها ابن بطوطة في شخر فبراير ١٣٥٣ عائداً إلى بلاده.

ومن فاس مر ابن بطوطة على سجلماسة ومنها إلى تاغازة الشهيرة بمناجم الملح والتي كانت فى الماضى من أملاك سلطنة مالى ثم دخل فى بلاد السودان الغربى حتى وصل إلى مالى العاصمة، وقد لاحظ أن ملابس الأهالى فى غالبيتهم كانت مصرية ثم وصل إلى نهر النيجر ، وأسماء النيل وزار الكثير من المدن والأقاليم وحين مرض ابن بطوطة فى مدينة مالى عالجها طبيب مصري ولقد أعطانا ابن بطوطة وصفاً رائعاً ودقيقاً لدولة مالى فى اوج عظمتها أى فى منتصف القرن الرابع عشر. ولقد تكاثفت عوامل كثيرة من أجل إضعاف سلطنة مالى وقلت مساحتها شيئاً فشيئاً وكان

أول هذه العوامل هي ضعف السلاطين مع كثرة الفتن الداخلية هذا علاوة على اختلال الأمن.

وبدأ الأمر بانفصال صنغاي عن سلطنة مالي واستقلالها عنها وعجز سلاطين مالي من معالجة هذا الانفصال ، وجاء إلى الحكم عدد من السلاطين الضعفاء الأمر الذي ساعد على زيادة تفكك السلطنة وكذلك عددا من السلاطين الذين أساءوا إدارة البلاد ، وأساءوا التصرف في الأموال العامة ، وأدت الفتن الداخلية إلى قتل عدد من الرؤساء، وعدم الاستقرار في المنطقة ورغم مجيء بعض السلاطين العادلين والذين تمكنوا من إعادة تصويب الأوضاع إلى حد معين فإنهم قد فشلوا في إعادة ضم صنغاي، نذكر منهم :ابن موسى الثاني والذي حارب صنغاي وخاصة بعد استيلائهم على الكثير من ممتلكات مالي ولقد وصلت قواته إني جاو، وتجاوزتها ولكنها فشلت في الاستيلاء عليها كما فشل الجيش الذي أرسله لاستعادة منجم الذهب في تكدة في القيام بهذه المهمة.

ومع أقوال نجم الدين سلطنة مالي صعد نجم سلطنة صنغاي وزادت أهميتها منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر وانتهى الأمر بخضوع سلطنة مالي نفسها لسلطنة صنغاي .

وولقد خضعت سلطنة مالي لهجمات متتالية من جانب الطوارق وكذلك من الغولانيين والتكاروة، هذا علاوة على خضوعها لضغوط مستمرة من جانب سلطنة صنغاي ، ولقد تمكن الطوارق من الاستيلاء على تيبكتو، وظلوا يسيطرون عليها حتى طردهم منها سلطان صنغاي في عام ١٤٦٨، ومن الجنوب خضعت سلطنة مالي

لهجوم قبائل موش التي وجهت إليها ضربات قوية ثم تعرضت مالى بعد ذلك لغزوات الغولانيين ومعهم التكاروة فى القرن السادس عشر .

؛ ويمكننا ان نقول بالنسبة لسلطنة صنغاي أنها قد تأسست بالفعل ، منذ منتصف القرن الخامس عشر وسرعان ما استولت على مدينة تنبكتو ثم على مدينة جنى و على كل منطقة النيجر الأوسط حتى أن سلطانها سمي باسم "سنى على سيد تنبكت".

وسيكون لنا عودة إلى سلطنة مالى وسلطنة صنغاي فيما بعد، وبعد ما يقرب من قرن من الزمن أى فى السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر وسيكون ذلك فى علاقة المغرب الأقصى وفى عهد السلطان السعدى أحمد المنصور الذهبى ، والذي ستصل قواته إلى بعض أقاليم سلطنة مالى ، أو سلطنة صنغاي التي يكون قد أصابها الضعف والوهن وذلك فى الفصل الخامس .

٦- سلطنة برنو:

ونشأت سلطنة برنو فى الاقليم الذى يسمى إقليم السودان الأوسط وهو الذى يمتد حول بحيرة تشاد، ويصل فى شرقه إلى حدود دارفور وفى غربه إلى النيجر ويشتمل إلى الجنوب مناطق من أفريقية الوسطى ومن نيجيريا.

لا شك فى أن هذه المنطقة مثلها فى ذلك مثل السودان الغربى قد شملت كذلك تحمل القبائل مع بعضها وتطورها نحو نشأة سلطنة واحدة عليها، ولقد خضعت هذه المنطقة كذلك لهجمات جديدة جاءت بنوع خاص من الشرق أى من منطقة سوادن وادى

النيل وكذلك من منطقة وادي كما جاءت إليها الهجمات من الشمال و الشمال الغربي، وفي شكل موجات من رجال القبائل أو بربر الصحراء ، وكانت منطقة بحيرة تشاد تمثل قلب هذه المنطقة و كانت طرق القوافل عبر الصحراء تأتي إليها من اتجاهات مختلفة ، وبشكل ساعد على تحولها إلى نقطة التقاء للتجارة والقوافل التجارية ، وساعدت بحيرة تشاد كذلك على الاستقرار سواء للصيد في الجزر العديدة التي تنتشر فيها أو للزراعة البدائية التي نشأت على سواحلها واختلط الأهالي الاصليون بالبربر الذين وفدوا عليهم من الشمال كما اختلطوا بغيرهم من أبناء السودان الشرقي و الذين وفدوا إلى المنطقة من القرن السابع الميلادي ثم جاءت بعض العناصر من شمال إفريقيا وساعد هذا الاختلاط بين الجمع على تقليل درجة نقاوة العنصر الزنجي وغلبة العنصر الأسمر عليه.

ومع الإستقرار عمل بعض الأهالي في هذه المنطقة في صناعة -التعدين وبخاصة في النحاس والحديد والبرونز، هذا علاوة على مصنوعاتهم الفخارية والتي كانت منتشرة في اجزاء كثيرة من القارة الافريقية، ولا شك في أن التجارة مع الهجرة ساعدت على نفل بعض مظاهر الحضارة من شمال السودان وادي النيل، ومن شمال إفريقيا إلى هذه المنطقة، وكانت عناصر الكمببو وهي خليط من القبائل الزنجية والبربرية هي اول من عمل على انشاء دولة في إقليم كانم، وكانت هي المرحلة الأولى لإنشاء سلطنة برنو، وقد اشتهرت هذه المنطقة كذلك بتربية الخيول، الأمر الذي ساعد على زيادة أهمية التجارة عن طريق القوافل كما ساعد على إنشاء قوات من الفرسان تعمل بالحرب وعلى شن الغارات من إقليم على إقليم آخر . كما عرف الأهالي

صناعة النسيج والتي كانوا يعهدون بها إلى الطبقات الفقيرة و لقد تميزت هذه البلاد بسمو مكانة المرأة فيها وبشكل ملحوظ سواء فى داخل الأسرة أو داخل المجتمع نفسه ، وأخيرا فإن هذه المنطقة تتميز كذلك بوجود كثير من العناصر العربية فيها جاءت من الشرق أى من السودان وادى النيل كما جاءت من الشمال وعبر الصحراء وتنتشر هذه المجموعات فى كانم وشرقى منطقة برنو وحول بحيرة تشاد وكذلك إلى الشرق فى وداوى ودارفور، ولقد امتزج العرب بدورهم بالأهالى مما أدى إلى ظهور عناصر جديدة ظلت تحتفظ بنسبها إلى العرب وتتفخر بأصولها العربية وأشتهر العرب فى هذه المنطقة بالفروسية وعملوا فى جيش برنو وعمل الكثير منهم فى صناعة الحديد والجلود حتى أن البعض نسب أغلبية سكان كانم إلى العرب ونسب إليها كذلك نشأة دولة برنو الأولى فى هذه المنطقة ولقد انتشرت اللغة العربية، وكذلك تقاليد العرب فى المنطقة الشرقية من تشاد بنوع خاص، وإن كانت قد دخلتها بعض الألفاظ السودانية وكانت هذه اللهجة تقترب من لهجة أهل الحجاز.

ولقد ظهرت الحكومة الأولى لسلطنة برنو فى إقليم كانم وهو الذى يقع إلى الشرق والشمال الشرقي من بحيرة تشاد وظلت هناك حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ثم انتقلت هذه الدولة بعد ذلك إلى إقليم برنو نفسه ، أى إلى الغرب من الإقليم الأول بعد أن اضطرت إلى تركه وظلت فى هذا الإقليم الجديد حتى القرن السادس عشر.

وفى الجزء الأول زادت أهمية سلطنة برنو وبخاصة فى القرنين التاسع والعاشر ونجحت قبائل زغاوة فى بسط سلطانها ونفوذها على منطقة تشاد وكونت طبقة حاكمة

مدت نفوذها على كل المناطق المجاورة ورغم الأصول البربرية الواضحة لهذه الطبقة الحاكمة فى المنطقة فإنهم سوف يعملون بعد انتشار الإسلام فى منطقتهم على أن ينسبوا أنفسهم إلى القبائل اليمينية القديمة وكذلك إلى سيف بن ذى يزن ، ويصل بهم الأمر حتى إلى أن ينسبوا انفسهم إلى الرسول " صلى الله عليه وسلم . "

ولقد جاء الإسلام إلى هذه المنطقة المتوسطة فى السودان عن طريق مصر وبلاد النوبة، وكذلك عن طريق أقاليم شمال إفريقيا، وعبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والعربى، ولا شك فى أن طريق مصر كان اقدم من طريق شمال إفريقيا وكان مركزا لنشر الإسلام فى السودان ، وفى السودان الأوسط وهناك ما يشير إلى دخول الاسلام إلى مناطق كانم وبرنو منذ نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن . ثم جاءت مجموعات من المهاجرين من الشرق إلى المناطق من القرن التاسع ، وعبر الصحراء ، وإتجهت صوب الجنوب كما أن تدعيم الإسلام فى الجزء الشرقى من تشاد كان أكثر قوة فى المناطق الشرقية منها عنه فى المناطق الغربية مما يدل على انتشار الإسلام من الشرق صوب الغرب ، واصبح أهالي برنو فيما بعد يغتربون بان بلادهم كانت أول بلاد يدخلها الإسلام فى الأقاليم السودانية أخذ سلاطين برنو يهتمون بحفظ القرآن ويشجعون الأهالي على إتباع طريقتهم، ويجزلون العطاء لمن يحفظ القرآن، ومع زيادة سلطة سلطنة برنو وأتساع نطاقها زاد انتشار الإسلام فى منطقة السودان الأوسط وأشتهر كثير من سلاطين برنو بالتقوى والتماسك بالدين وبناء المساجد وتقريب الفقهاء المسلمين والذهاب إلى الحج عبر السنين حتى أصبحت المنطقة تغلب عليها أساسا صفة الإسلام والذى أنتشر من الطبقات العليا صوب الأهالي والبسطاء وكانت قوافل

حج أبناء برنو تمر من مصر ، والتي كانت سلطاتها تعمل على تيسير قيامهم بفريضة الاسلام وكانت هذه القوافل تبهر أبناء مصر مثلها في ذلك مثل قوافل الحج التي كانت تأتي من السودان الغربي، ومن سلطنة مالي وكان الحجاج من أبناء برنو كثيرى العدد ، وإحتاجوا إلى اماكن ينزلون بها خلال رحلتهم فبنوا لنفسهم مدرسة" ابن رشيق " فى الفسطاط كمدة ينزلون فيها وكمركز علمي لتدريس المذهب المالكي فى مصر ، وكانوا فى مصر يسمون باسم التكرور ؛ وإرتفع صيت التكروريين فى مصر وأصبحت بلادهم ترسل سنويا مبالغ من الذهب للإنفاق على هذا المركز ، أو هذه المدرسة ، وقاموا كذلك ببناء عدد من الفنادق فى أماكن مختلفة من مصر والحجاز كى ينزلوا فيها ، وهم فى طريقهم إلى الحجاز .

ومع انتشار الإسلام فى برنو تعربت أسماء السلاطين كما إنتشرت اللغة العربية والتي أصبحت اللغة الرسمية لحكومة برنو ، و أصبحت تصدر بها القرارات والمكاتبات ، ولا شك فى أن الإسلام كان هو الأساس فى نشأة وقوة الدولة الإسلامية فى منطقة السودان بأكملها ، وكان كذلك هو أساس دخول إفريقية السودان فى العصر التاريخي.

ولقد بلغت دولة برنو أوج قوتها فى القرن الثالث عشر، وأصبح لهذه الدولة جيش ضخم يقال أن عدد فرسانه بلغ مائة ألفا فارس، وأن عدد جنوده من المشاة بلغ مائة و عشرين ألف جندى • علاوة على الجود المرتزقة، وذكر البعض أن حدود هذه الدونلة الناحية الشرقية والشمالية الشرقية قد قاربت حدود مصر ولقد حصل بعض سلاطين برنو على مساعدات من دولة الحفصيين فى تونس فى حروبهم، وخاصة تلك

التي وجهوها صوب السودان الغربي، ونشأت العلاقات بين البلدين ، وتبادل السلاطين فى كل منهما الهدايا مع سلطان البلد الآخر وكما تلقب السلطان الحفصى بلقب أمير المؤمنين تلقب سلطان برنو نفس اللقب ، وفى هذا العهد والذى يعتبر قمة قوة السلطنة شارفت حدودهما الشرقية وادى النيل الأوسط ووصلت حدودها الغربية إلى قرب نهر النيجر ، وهذا يعنى أن منطقة الهوسا بأكملها خضعت لسلطنة هذه السلطنة ونتيجة لسيطرة هذه المنطقة على أهم طرق القوافل فى السودان تمكنت سلطنة برنو من التحكم فى طرق التجارة الصحراوية وبنوع خاص من فزان مما زاد من نشاط تجارتها وزيادة حركة التبادل وتدعيم قوتها الاقتصادية.

ولقد بدأت بوادر الضعف فى الظهور على سلطنة برنو فى إقليم كانم فى أثناء القرن الرابع عشر فزاد فيها الفتن كما زادت الانقسامات بين أبناء الأسرة الحاكمة واستمرت هذه الحالة لفترة من الوقت ، وساعد عليها تحركات القبائل فى هذه المنطقة شبه الصحراوية أو منطقة السافانا والمراعى الخفيفة، ومحاولة فرض انفسهم على الأهالي بالقوة ثم جاءت عناصر أكثر قوة وشراسة واستقرت فى منطقة لها قيمتها ، وهى منطقة العوينات ، وأقامت لنفسها سلطة ثابتة وأخذت تهدد السلطة الموجودة فى كانم مما إضطر أبناء هذه الأسرة إلى الخروج من كانم قرب نهاية القرن السابع عشر واتجاههم غربا صوب إقليم برنو نفسه .

ولقد تمكنت سلطنة برنو من أن تستعيد مجدها وأهميتها منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر ووصلت إلى أوج قوتها فى أثناء القرن السادس عشر و لقد كتب أحد سلاطين برنو إلى سلطان المماليك السلطان برقوق فى مصر شاكياً له اعتداء

بعض العريان على بلاده وأخذهم بعض الأهالي، وحتى بعض أقاربه عنوة لكى يبيعونهم فى الخارج وطلب إلى سلطان مصر فى هذه الرسالة بأرض الله المباركة وباسم " أم الدنيا " وأرسل هذا الخطاب مع ابن عمه ومع الهدايا وبصحبة الحجاج الذين يمرّون بمصر ولقد رد عليه سلطان مصر المملوكى وإجابته إلى طلبه.

ولقد قام سلاطين برنو بإنشاء القصور من الطوب الأحمر وعلى مساحات واسعة من الأرض الأمر الذى كان يدل على ثرائهم وعلى قوتهم واهتموا كذلك ببناء المساجد وبالحض على نشر الإسلام بين الأهالي كما أنهم عملوا على إختراع قبائل الهوسا لسلطتهم، وحاولوا فى نفس الوقت إعادة مد سلطتهم على إقليم كانم فى الشرق ولقد زار ليو الأفريقى هذه المنطقة وذكر لنا أن السلطان هناك يقب باسم الغازى، وذلك نتيجة انتصاراته الكثيرة على القبائل المجاورة له وفى هذا العصر زاد اتصال سلاطين برنو ببعض مناطق العالم الإسلامى وأخذوا فى الاتصال بسلاطين الدولة العثمانية ، والتي كانت قد فتحت إستانبول فى هذا الوقت.

وإذا كان عدد كبير من المؤرخين يفرّدون مكانا مميّزا للحروب والغزوات فمما لا شك فيه أن هذه المنطقة قد شهدت الكثير من عمليات الإغارة والكر والفر السريع كما أن سلطنة الدولة قامت على أساس قوات الفرسان التى ضربت على أيدى الخارجين، وعملت على فتح طريق القوافل وتأميمها ، وتيسير وصول القوافل من إلى أقاليم شمال إفريقيا ، وكانت مدفوعة فى ذلك بالرغبة فى تأمين التجارة والتي كانت مصدر رزق لعدد كبير من الأهالي وكثير من التجار ومع هؤلاء الفرسان تمكن سلاطين برنو من سيطرتهم على بلاد الهوسا وكذلك من السيطرة على أقاليم الباجرمى

فى الجنوب، وكان معنى انسياج سيطرة المسلمين هو فى نفس الوقت تناقص الديانات الوثنية، وعادات وتقاليد الزواج شيئاً فشيئاً من هذه المنطقة الشاسعة والتي زادت مساحتها على مساحة القارة الأوربية نفسها والتي انتشرت فيها فى ذلك الوقت أى عند نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر للمدن الإسلامية والتي تضم المساجد والجوامع والتي كانت مآذنها توجه المسافرين من بعيد كما أن وجودها كان يدل على حضارة عربية إسلامية عريقة فى هذه المناطق ولقد ظلت هذه السلطنة موجودة وعبر قرون جديدة وحتى القرن التاسع عشر، ولنا عودة إليها فيما بعد.

وهكذا كانت الأحوال فى القارة الإفريقية، وبخاصة فى النصف الشمالى من هذه القارة والذي يمتد حتى قرب المناطق الاستوائية عند نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر أى عن طرد المسلمين عن الأندلس وقيام تجربة ومحاولا البرتغاليين الوصول الى مياه الهند بالملاحة حول القارة الإفريقية؛ وكنت الصفة الرئيسية للقارة الإفريقية فى ذلك الوقت هي الإسلام .

الفصل الثاني

دوافع الاستعمار الأوروبي في أفريقيا في

العصر الحديث

الفصل الثاني

دوافع الاستعمار الأوروبي في أفريقيا في العصر الحديث

إذا كان كشف القارة الإفريقية وإلقاء الضوء عما بداخلها يمثل صفحة بيضاء في العلاقات الإفريقية الأوربية — فإن اتجاهها للأوروبيين للاستعمار والاستحواذ على مساحات واسعة من القارة وتسخير الأفارقة وخيرات بلادهم لتحقيق الرفاهية للأوروبيين يمثل صفحة سوداء في تاريخ العلاقات الأوربية الإفريقية، والاستعمار ظافرة قديمة، حتى أننا يمكن أن نقول أن جذورها تضرب في أعماق التاريخ إلى مدى بعيد، وقد شهد العالم القديم قيام إمبراطوريات استعمارية ضخمة كالإمبراطورية الرومانية، كإمبراطورية الإسكندر المقدوني .

لكن الاستعمار الأوربي في أفريقيا الذي برز بنوع خاص في القرن التاسع عشر تطور في أساليبه ووسائله وأهدافه والنتائج التي ترتبت عليه حتى خيل للبعض إنه ظاهرة جديدة مرتبطة بالقرن التاسع عشر فحسب ، ولذا فلا بد من الوصول لتعريف دقيق للاستعمار في شكله الجديد ينطبق على هذه الظاهرة التي برزت في نشاط الدول الأوربية في افريقيا.

المقصود بالاستعمار:

تعددت التعاريف التي ذكر للاستعمار في العصر الحديث؛ فالبعض عرفه بأنه يعنى سيطرة جماعة على جماعة أخرى .

و عرفه د • كوامي روما بأنه سيطرة دولة اخرى واستخدام هذه الدولة المستعمرة كونها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر واستغلاله اقتصادية •

فالاستعمار من وجهة نظر د • نكروما هو الساسة التي بها ترتبط وتؤيد الدولة الام مستعمراتها؛ و توجيهها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الخاصة .

وهذا التعريف وغيره من التعريفات المتعددة التي ذُكرت للاستعمار ليست وافية بحيث تشمل جميع اشكال الاستعمار الحديث ووسائله وأهدافه •

ولعل تعريف الأستاذ الدكتور (محمد عوض محمد) هو اكثر هذه التعريفات شمولاً فقد عرف الاستثمار بأنه : " العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطه دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم ، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد"

فالأعمال المشار إليها قد يكون منها استخدام القوة الحربية، وقد تحدث السيطرة على الأرض بشرائها بطرق منها عوامل الضغط •

والنص على الدولة أو جماعة منظمة من الناس قصد به أن يشمل الاستعمار .

الأعمال التي قامت بها (الشركات) التي تألفت في العصور الحديثة مثل الشركات الاستعمارية الألمانية التي أسسها كارل بيتر (K.Peters) ، وشركة الهند الشرقية البريطانية وغيرها من الشركات العديدة التي كثرت في العصر الحديث وقامت

بأعمال استعمارية عنيفة فى شرق أفريقيا وكثيرا ما مهدت لحكوماتها البسط نفوذها على الأماكن التى كانت قد ارتبطت بها هذه الشركات.

والإشارة إلى أن التسلط قد يقع على الأرض فقط عادة لا يحدث إلا فى بلاد

خالية من السكان أو فى أماكن الخالية من السكان .

أما أن السيطرة قد تقع على السكان دون الأرض فيكون ذلك بترك الأرض ومراقبتها للسكان الأصليين لاستقلال أراضيهم، وهذا عكس ما حدث فى شرق القارة حيث تملك المستعمرون على الأرض والسكان ، والسبب لا يرجع لميزة إمتياز بها مستعمرو الغرب لكن الأمر يرجع إلى أن أرض شرق أفريقيا المرتفعة تصلح لسكنى الأوربيين بينما أرض أفريقيا الغربية منخفضة شديدة الحرارة لا تلائم سكنى المستعمرين الأوربيين فسيطروا على السكان واستخدموهم لاستغلال الأرض .

و كما حدث أيضاً فى القرن الخامس عشر حيث قامت الدول الأوربية بالاستيلاء على مناطق السواحل الأفريقية أقامت فيها الحصون والمراكز التجارية؛ من أجل تجارة الرقيق .

وهذا التعريف كما ترى شامل وعملي يسهل قياس الصور المختلفة التى تقابلنا

على أساسه

والرق من البشع أنوا الاستعمار فهو استعباد للإنسان واستغلال له سواء فى بلده الأصلي أو نقله عنوة للعمل فى بلاد أخرى لتحقيق الرفاهية للمستعمر الغربى ويختلف هذا بالطبع عن الهجرة الإجبارية .

وقد يتبادر للذهن سؤال هام هو هل يدخل ضمن الاستعمار النفوذ الاقتصادي

أو الثقافي ؟

والسليم ان المشروعات الثقافية والاقتصادية إذ لم تؤد الى بسط النفوذ السياسي

أو تكون نتيجة نفوذ سياسي فهي ليست من الاستعمار فى شئ .

فاستخدام رؤوس الأموال الأجنبية أو إنشاء معاهد ثقافية أجنبية فى بعض

البلاد إن لم تكن نتيجة تسلط اجنبى أو يترتب عليها هذا التسلط اى تكون ذريعة

للتسلط فإنها لا تدخل تحت تعريف الاستعمار .

ولكن إذا اتخذت البعثات العلمية أو الدينية كما حدث فى أحوال كثيرة ذريعة

تتذرع بها الدول لبسط سلطانها السياسي على قطر أو كتمهيد لاحتلاله فهذا بالطبع

عمل استعماري.

وواضح أن الفرق و الحد بين الاثنين الاستعمار والاستثمار يتمثل فى خيط

رفيع دقيق والأمر يحتاج ليقظة و تدقيق للتفريق بين الاثنين .

دوافع الاستعمار الاوروي لأفريقيا وتطورها:

مع أن الاستعمار الأوربي الحديث لأفريقيا بدأ فى القرن الخامس عشر - إلا

أن الأوربيين اكتفوا فى القرن الأول من استعمارهم باتخاذ نقط ساحلية أو الإستقرار فى

بعض الجزر القريبة من الساحل لكن فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وقبيل

نهاية هذا القرن على وجه الخصوص ظهرت دوافع جديدة أدت إلى النهج الاستعماري

فأخذت الدول الأوروبية تتوغل فى داخل أفريقيا وأراد بعض ساسة أوربا إيجاد أسس تتحرك فى إطارها هذه الدول وهى تعمل لمد نفوذها لمناطق جديدة فى القارة.

أهم الدوافع التى دفعت الأوروبيين لاستعمار أفريقيا:

١- الدافع الدينى:

انتهى الصراع بين العرب والإمارات المسيحية فى شبه جزيرة ليبيريا بخروج العرب نهائياً من أسبانيا فى عام ١٤٩٢ فأصبحت الأندلس بحق - كما عبر عنها بعض الكتاب العرب (فردوس العرب المنقود) - لكن البرتغال استطاعت ان تتخلص من الوجود العربي وأن تقدم مملكة مستقلة قبل الأسبان بما يقرب من قرنين.

وحمل البرتغال لواء حركة دينية جديدة يعتبرها بعض المؤرخين امتداداً للحركة الصليبية و ذلك بهدف تعقب القوى الإسلامية والاتصال بملك الحبشة المسيحي - الذى ذاع صيته فى أوربا ، وإن كانت بلاده لم تكن معروفة على وجه الدقة للاشتراك فى معركة تطويق الدول الإسلامية ودول الممالك بالذات والقضاء على مصدر وقوتها التى تتمثل فى احتكار تجارة الشرق والسيطرة على شرايين الملاحة المؤدية إلى مصادر هذه التجارة .

ولا شك فى أن الحملات التى قام بها الأمير هنرى الذى اشتهر باسم هنرى الملاح (Henry the Navigator) و رحلات غيره من الرحالة البرتغال كانت كلها تهدف إلى توجيه ضربة قوية للقوى العربية بالقضاء على احتكار العرب لتجارة الشرق ، وبذا تستنزف هذه الثروة التى كانت تتدفق عليهم وتضعف قدرتهم العسكرية بالتالى.

والدليل على ان الدافع الديني وراء الحركات الاستعمارية فى ذلك الوقت أن البابوية باركت هذه الحركات و بادرت بالتدخل لفصل النزاع بين الدولتين الاستعمارييتين البرتغال و أسبانيا .

وقد أدركت القوى الإسلامية الهدف من وراء هذا الشايط الاستعماري والذي تصدت مصر المملوكية للعمل ضد البرتغال ونشاطهم فى البحار الشرقية- لكن هزمت الأساطيل المصرية فى موقعة ديو البحرية سنة ١٥٠٩ واستأنف العثمانيون الذين ورثوا السلطة فى مصر والشام والحجاز من المماليك — القتال ضد البرتغال وحلفائهم •

ولا يقلل من حقيقة هذا الهدف اشتراك المدن الإيطالية المسيحية إلى جانب المماليك فى حربهم ضد البرتغال فقد كانت أساطيل هذه المدن هى التى تقوم بنقل بضائع الشرق من موانى الشام ومصر إلى أوروبا فمصلحتها الاقتصادية هى التى حتمت عليها هذا الاتجا.

ويرتبط بالعامل الدينى الحركات الدينية التى شاهدها أوروبا إثر النهضة الأوربية ، فقد أدت حركية الإصلاح الدينى والدعوة لتخليص المسيحية من الشوائب التى ارتبطت بالكنيسة ورجال الدين فى العصور السالفة — إلى تحطيم الوحدة الدينية لأوروبا وظهرت مذاهب دينية كالبروتستانتية ، وقامت نتيجة لذلك مذابح دينية وحروب فى أوروبا ادت لهجرة الكثيرين من بلادهم - لكن لم تلبث موجة الصراع والنشاط الدينى أن اتجهت إلى ناحية التبشير بالمسيحية بين القبائل فى المناطق التى كانت تسود فيها الوثنية فى المستعمرات الجديدة •

واتجه نشاط الجمعيات التبشيرية بصفة خاصة إلى أفريقيا بعد الكشف الجغرافية الذى بدأت تلقي الأضواء على داخل القارة فكان المبشرون يسيرون عادة في ركاب المستكشفين، وإن كانت بعض البعثات التبشيرية قد سبقت أحيانا في كشف النقاب عن مناطق لم تكن معروفة للأوروبيين.

ونذكر في هذا المجال جهود لفنجستون (Livingstone) فقد انضم في عام ١٨٣٨ إلى جمعية لندن التبشيرية، وقد وجه نظره للعمل في جنوب أفريقيا الدكتور موفات (Moffat) ، وقد تحدثنا عن نشاطه في كشف نهر الزمبيزي وفي إثارة الرأي العام العالمي ضد تجارة الرقيق بعد أن شهد بعينية ما يقاسيه الأرقاء من الآلام ، وقد دفعت رحلات لفنجستون ببعثات دينية أخرى من بريطانيا واستكلندا .

وفي شرق أفريقيا كان للبعثات التبشيرية الكاثوليكية نشاطها الملحوظ ونذكر بالنيات في هذا المجال جهود الأب سابيتو (Sapeto) وهو من أشهر رجال التبشير الإيطاليين، وقد دخل فيما بعد في خدمة شركة روباتينو الإيطالية للملاحة وهي الشركة التي لعبت الدور الاول في الاستعمار الإيطالي في شرق القارة .

على أن الجمعيات التبشيرية التي بدأت بالعمل على نشر المسيحية والحضارة بين الأفارقة انغمست في ميدان الاستعمار فقد أصبح الهدف الديني يتخذ كوسيلة لتبرير الاستعمار ، فكان كثيرون من رجال الدين دعاة للاستعمار ، واشتهرت منهم أسماء متعددة في هذا المجال نذكر منهم على سبيل المثال الكاردينال الفرنسي لافيجيرى (Javigerie) .

وقد كثر فى كتابات هؤلاء وأقوالهم الحديث عن النظريات الإنسانية و الأبوية ودور الرجل الأبيض الذى عبر عنه بالأب الأبيض (White Father) أو الأخ الأكبر (Older Brother) لكن أثبتت الأيام أن الأمر لا يخرج عن كونه قناعاً يغطى به الاستعمار وجهه القبيح، وفى كثير من الأحيان حدثت أن انعكست النظرية المعروفة فكانت البعثات التبشيرية ممهدة للاستعمار وليس العكس (The Flag Followed the Missionary) وقد أشار لينين إلى ذلك فذكر ان تأثير الدين فى السيطرة على الشعوب تأثير مسرعى ، فالمسرح يبدأ أول ما يبدأ بالإرساليات الدينية ثم يتبعها علماء الأجناس البشرية والتجار وأصحاب الامتيازات ورجال الغدارة، فبينما تتوسل الإرساليات الدينية إلى الوطنيين أبناء المستعمرات بان يکنزوا کنوزهم فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا يأكل صدأ ، نرى التجار واصحاب الامتيازات ورجال الإدارة يحصلون على معادن بلادهم وعلى مصادر الثروة الطبيعية فى أرضهم ويقضون على فنونهم وحرفهم وصناعاتهم الوطنية .

لكن من الإنصاف أيضاً أن نذكر لهذه البعثات التبشيرية جهودها فى مجال التعليم ومجال العلاج بالذات.

(١) الرق :

كان الهدف من حركة الكشوف الأولى الوصول إلى الشرق بفرض الحصول على بضائع الشرق المطلوبة فى أوربا ، ولذا اهتمت البرتغال التى بدأت صفحة الاستعمار الأوربى فى العصر الحديث بإنشاء مراكز تجارية أو حصون عسكرية فى الساحل الغربى لأفريقيا أو بالقرب منه حتى اطلق على الاستعمار البرتغالى فى ذلك

الوقت تعبير (استعمار البهار) اشارة للهدف منه _ لكن الأمر تحرل بسرعة فأصبحت السلعة المتداولة هي الإنسان الإفريقي (العاج الأسود) بالإضافة إلى بضائع أفريقية أخرى كالذهب والصبغ والعاج.

ورغم أن البداية التي افتتحت بها البرتغال صفحة الرق فى العصر الحديث تبدو فى مظهرها إنسانية متصلة بالدافع الديني اذ ادعت البرتغال ان هدفها هو ايجاد الأفارقة الوثنيين عن أجوائهم الأفريقية لتلقيهم مبادئ المسيحية ليعودوا إلى بلادهم ليكونوا رسلا لنشرها - فلا شك فى ان هذا لا ينفى أن البرتغال هم مؤسسو مدرسة الرق بكل مساوئه فى العصر الحديث فقد تطور الأمر حتى أصبح الساحل الغربي لأفريقيا موردا هاماً للأيدي العاملة التي احتاجها الغرب لتعمير العالم الجديد .

وحتى نهاية القرن الساس عشر كانت البرتغال هى التي تحتكر تجارة الرقيق وتقوم بتمويل أملاكها والأملاك الأسبانية وغيرها بحاجتها من الرقيق الأفريقي و كانت فى لشبونة سوق كبيرة للرقيق تمد العالم الجديد بحاجته منهم.

ولما ازدادت الحاجة للرقيق الأفريقي _ اتجهت البرتغال لتسليح اتباعهم ممن أطلق عليهم لفظ (الجلابة) بالأسلحة النارية لمضاعفة قدرتهم على القنص فقد كان البرتغال يفضلون عدم المخاطرة بأنفسهم بالتوغل للداخل _ طالما أنهم يستطيعون عن طريق أتباعهم المسلحين الحصول على حاجتهم من الرقيق وهم مطمئنون فى مراكزهم الساحلية ولذا أطلق بعض المؤرخين على القرن السادس عشر فى أفريقيا تعبير (عصر البنادق) فقد انتشر استخدام البنادق فى القارة بعد أن كانت الأسلحة البدائية

كالرمح والسهام هي الأسلحة التي عرفها الأفريقي قبل ذلك، وهكذا أصبح الرقيق أغلى سلعة اكتشفتها القوى الاستعمارية في أفريقيا.

ومع ذلك لم تستطع الجهود التي بذلتها البرتغال أن تسد طلبات الدول الأوروبية الأخرى المتزايدة للرقيق فدخل الهولنديون والفرنسيون و الإنجليز والدنمارك وغيرهم من الأوربيين هذا الميدان إلى جانب البرتغال ليسدوا الطلبات المتزايدة للأيدي العاملة الرخيصة للعمل في مزارع القطن والدخان وقصب السكر في أمريكا.

واتجهت هذه الدول لبسط سيطرتها على مناطق معينة من الساحل الأفريقي أو في الداخل لتضمن حصولها على حاجتها من الرقيق - وتشكلت شركات خاصة لنقل الرقيق الأفريقي وما يرتبط بهذا العمل من نشاطات أخرى •

وقد بلغت أرباح هذه التجارة - تجارة الرقيق - حدًا خيالياً فمثلا كانت سفن الرقيق البريطانية تقوم في الجولة الواحدة برحلة مثثة فتتقل الفائض من المصنوعات الإنجليزية لعرب أفريقيا حيث تستبدلها بشحنات آدمية تعبر بها المحيط الأطلسي فتفرغها في مناطق العمل بأمريكا ثم تعود بالتالي لبريطانيا محملة بالسكر والقطن الخام والتبغ وغيرها من محاصيل هذه الاقاليم ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل تحقق بالطبع أرباحاً طائلة، وكان هذا سر الثراء الفاحش الذي بدت مظاهره في بعض المدن والموانئ الأوربية، فإن كان الهولنديون يرددون فهي تراثهم أن مدينتهم العظيمة (امستردام) قد نبت على عظام الرنجة التي اشتهروا بتسويقها ليس بعيداً عن الصواب أن تقول بالمثل إن لشبونة في البرتغال وليفربول في إنجلترا قد بُنيت على عظام الرقيق السود ویدمائه.

وقد حاول بعض الباحثين أن يصل إلى إحصاء تقريبي لعدد الرقيق الذين وصلوا للمستعمرات الأوروبية منذ بدأت حركة الاسترقاق فى القرن الخامس عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر _ لكن الأرقام اختلفت ولم تستطع أن تصل لأعداد تستند على أدلة قوية، فقد قدر ما وصل المستعمرات الأوربية كلها فى قرن واحد من ١٦٨٠م إلى ١٧٨٠ بحوالى ٤٠ مليون أفريقى — وإذا صح هذا التقدير وإذا وضعنا فى الاعتبار أن النظام الذى أتبع فى عمليات القنص والشحن والترحيل ترتب عليه أن ما كان يصل حيًا لا يمثل إلا نصف ما فقدته القارة فهذا يعنى أن القارة استنزفت فى قرن واحد ما يقرب من ٨٠ مليون من أبنائها .

هذا وقد أطلق الأوربيون على السواحل الأفريقية بل وعلى بعض المناطق التى بسطوا نفوذهم عليها فى القارة أسماء تتطابق مع نشاطهم مثل ساحل الذهب وساحل العبيد ، وساحل العاج ، وساحل الزنج .

هكذا ظل الرق مستمراً والقارة الأفريقية تتعرض لحملات منتظمة من الاستنزاف البشرى والحكومات الأوروبية والشركات وتجار الأسلحة يشجعون استمرار هذه التجارة التى ثبت أنها أكبر أنواع التجارة ربحاً .

لكن من أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر بدأت ترتفع الصيحات مطالبة بوضع حد لهذه التجارة البشعة، وظهرت حركات تعارض الرق والإتجاز فيه (Anti Slavery Movement) كما انبرى عدد من رجال الدين ومن الجماعات التى عرفت باسم أنصار الإنسانية (Humanitarians) تحاول أن تدفع الحكومات و البرلمانات لسن القوانين باعتبار هذه التجارة محرمة . ولقيت هذه الحركات

معارضة من العديد من المنتفعين بهذه التجارة فقد وصل الحد مثلاً إلى أن اللورد دارموت (Darmot) وزير المستعمرات البريطانية يرد على لوضع حد لهذه التجارة بقوله : "إننا لا نسمح بأى حال بعرقلة هذا النشاط التجاري الذي ثبت أنه عظيم الفائدة لشعبنا".

وبرز في الحركة الداعية لوضع حد لهذه التجارة أشخاص من أمثال وليم ويلبرفورس (William wilerforce) عضو البرلمان الإنجليزي.

وقد توجهت جهود هؤلاء بصدور القوانين بمنع هذه التجارة، وفرض عقوبات على من يعمل بها - ولم يتم هذا الأمر فى كل الدول الأوربية فى وقت واحد، كما أن الأمر تدرج من تحريم الاتجار فى الرقيق إلى إصدار القوانين بتحريم العبيد السابقين.

على أنه يرتب على هذه الحركة تحرير عدد كبير من الرقيق الموجودين خارج القارة فى انجلترا و أمريكا وغيرها وأدى بعضهم رغبته فى العودة إلى القارة الأم التى سبق أن عاش فيها آبائهم وأجدادهم - وأدى هذا لتأسيس شركات تعمل لإعادة توطین هؤلاء -الأفارقة فى وطنهم الأصلي، كما أدى هذا لاتخاذ مناطق معينة.

على الساحل الأفريقى لإقامة مستوطنات لهؤلاء الأمريكيين وبالمثل سيراليون

• للزنج البريطانيين

على أن الدول الاستعمارية اتخذت حتى من هذه الخطوة الإنسانية ذريعة لتحقيق أطماعها الاستعمارية باسم تنفيذ قوانين تحرير الرقيق، فقد تدخلت انجلترا فى شؤون زنجبار بحجة التأكد من أن السفن فى موانئها لا تحمل رقيقاً.

٣ (دوافع استراتيجية:

جعل التطاحن بين الدول الاستعمارية على مناطق معينة فى القارة مركزا ممتازاً بالنسبة لموقعها وتحكمها فى الملاحة البحرية أو غيرها، ودفع ذلك الدول صاحبة المصلحة للإسراع باستعمارها، فمثلاً موقع الجزائر على البحر المتوسط فى مواجه سواحل فرنسا الجنوبية كان من الدوافع وراء الاستعمار الفرنسى لها فهى عام ١٨٣٠، ويقال مثل هذا عن أماكن أخرى فى شرق القارة وغربها فموقع مصر الهام على البحرين المتوسط والأحمر والأهمية التى أصبحت لها بعد إفتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ كان وراء الاستعمار البريطانى لمصر ومسك بريطانيا بالنفوذ فى منطقة القناة .

كذلك أثر موقع المغرب الاقصى (طنجة) بالذات وتحكمها فى المدخل العربى للبحر المتوسط فى موقف الدول الاستعمارية من المغرب ويقال مثل ذلك على منطقة رأس الرجاء الصالح (كيب تاون) وأهميتها فى الملاحة بين غرب القارة، وشرقها ، كذلك منطقة باب المنذب والمناطق التى تقع خلفها على الساحل الأفريقى الشرقى وما نطلق عليه اليوم (منطقة القرن الأفريقى) كان ولا يزال موقعها سبباً فى الصراع الاستعماري عليها .

٤ (عوامل متصلة بالدول الأوروبية ذاتها وحالتها الداخلية:

كانت الأوضاع الداخلية فى بعض الدول الأوروبية؛ من الدوافع التى دفعتها لتخرج لميدان الاستعمار نذكر على سبيل المثال أن حالة القلق الداخلى التى كان يعاني منها الشعب الفرنسى منذ عام ١٨١٥ جعلت الحكومة تفكر فى تحويل نظر

الشعب عن المشاغل والاهتمامات الداخلية _ فالشعب الفرنسي كان لا يزال في حالة السكر بمجد العظمة الإمبراطورية وكان ذلك من الأسباب الي دفعت الحكومة الفرنسية للتفكير في غزو الجزائر ، وقد صرح رئيس الوزراء بوليناك (Polignac) في مجلس الوزراء عند مناقشة موضوع حملة الجزائر بان هذه الحملة ستجعل أنظار الشعب الفرنسي تتجه إلى الخارج، وأن النصر في هذه الحملة سيساعد على تقوية الملكية وسيكون فيه الرد العملي على الذين اتهموا الملكية منذ عودتها في عام ١٨١٥ بإتباع سياسة السلم والاستسلام .

٥) العوامل النفسية وراء الاستعمار الأوربي الحديث:

الدول كالأفراد يتحكم فيها ما يتحكم في الأفراد من ظاهرات نفسية كشهوة الأمتلاك وحب العظمة والظهور والمباهاة والغيرة، و محاكاة الغير - وأدى هذا للتنافس الشديد بين أبناد أوروبا ودولها وحكوماتها .

وكانت أفريقيا القارة المكتشفة حديثاً المجال الفسيح للتنفيس عن هذه الصراعات النفسية كالأوضاع الاجتماعية والسياسية والثورات الداخلية والضغط من الأفراد و الجماعات على الحكومات لمجاراة الدول الأخرى في ميدان الاستعمار، كل هذا وراء خروج الأوربيين للاستعمار .

وقد كان الكتاب الإنجليز في القرن الحساضي يتحدثون عن إمبراطوريتهم التي لا تغيب عنها الشمس ويتضح ذلك أيضاً في ضغط الرأي العام الألماني على الزعيم

الألماني بسمارك ليخرج بألمانيا إلى ميدان الاستعمار أسوة بإنجلترا وفرنسا وغيرهما
من الدول الأوروبية .

٦) الثورة الصناعية في أوربا:

أوجدت الثورة الصناعية في أوربا حوافز جديدة دفعت عجلة الاستعمار الأوربي
فهذه الثورة ادت للإنتاج الكمي (Mass Production) الذي يترتب عليه التخفيض
في تكلفة الإنتاج ، وذلك بدلا لسد الحاجات الضرورية للمواطنين فحسب ، فأصبحت
الحاجة ماسة للمواد الخام ثم لأسواق لتصريف الفائض من الإنتاج.

وودت الدول الصناعية في أفريقيا مجالا طيباً حيث تتوافر المواد الخام
الزراعية والمعادن إلى السوق الواسعة لتصريف الفائض من منتجاتها من الإنتاج وذلك
بعكس الوضع في أوروبا.

وقد برز هذا العامل الاقتصادي كدافع هام وراء الاستعمار (Economic

Imperialism) حين انتقلت مقاليد الأمور في الدول الكبرى الصناعية إلى طبقة
التجارة والرأسماليين وأصبحت الأغراض التجارية والصناعية بالذات تحكم في سياسات
هذه الدول وسعت الرأسمالية الأوربية إلى البحث عن مجالات أخرى لاستثمار رؤوس
أموالها - وكان المجال أوسعاً في القارة الأفريقية بالذات.

وترتب على هذا تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي ذاع صيتها في ميدان
الاستعمار في أفريقيا، فقد اكتشفت هذه الشركات في أفريقيا مستودعا كبيرا للمواد الخام
من مذبجات الكساء الخضري الى الثورة المعدنية - فاندفعت لاستنزاف مواد القارة حتى

كادت تنضب مواردها النباتية والحيوانية والمعدنية فقد كان قانون المستعمرين هو امتصاص زبد الإقليم (Skim The Cream) ، و أصبح افضل تشبيه للاستعمار بأنه مضخة ماصة في المستعمرات كابسه في الدول الاستعمارية.

وكانت المستعمرات في نظر الدول الاستعمارية لا تخرج عن كونها مصدرا للمواد الخام وللعمال ذوي الأجور الرخيصة بالإضافة إلى مستودع للفائض من المصنوعات غير الجيدة بأسعار عالية، وأصبح الأوربيون ينادون " بان العقل الأبيض (white Brain) والعقل الأسود (Black Brawn) يجب أن يتعاوننا لخير الطرفين.

وتاريخ هذه الشركات الاوربية الاستعمارية ودورها في القارة الأفريقية جدير بالدراسة ، فقد اندفعت هذه الشركات لاستغلال القارة مستندة على ما أمدها به العلم من وسائل وإمكانيات فأصبحت المواصلات ميسرة كما أخضعت أمراض المناطق الحارة لسلطان العلم والطب وأصبح الوصول إلى داخل القارة ممكنا ومأمونا إلى حد كبير .

وكانت الشركات كثيرا ما تبدأ العمل، في القارة قم لا تلبث أن تترك المجال للحكومات متذرة بسبب أو آخر - و لذا فإن القاعدة القديمة القائلة أن الاستعمار تبيع التجارة (The Trade Follows The Trade) أنقلبت فأصبح الاقرب للصواب أن يقال (The Flag Follows The Trade) .

والأمثلة على ذلك كثيرة فالاستعمار البلجيكي للكنغو كانت بدايته الشركة التي أسسها الملك ليوبولد الثاني (leobold II) ملك بلجيكا برأسمال مليون فرنك لاستغلال

الكنغو ، كذلك فإن الشركات الاستعمارية الألمانية كشركة كارل بيترز (K.Perers)
(التي بدأت نشاطها في شرق أفريقيا ، وكانت شركة سيلل جون رودس التي عرفت
باسم شركة جنوب لأفريقيا البريطانية والتي صدر مرسوم بتأسيسها في عام ١٨٨٩
بدعوى استغلال مناجم الذهب في جنوب أفريقيا وروديسيا والمناطق المحيطة بها -
الأساس الذي قام عليه الاستعمار البريطاني في هذه الجهات ، وكانت شركة روباتينيو
الإيطالية (Robbatinio) ممهدة لاستعمار الإيطالي لميناء عصب ولمستعمرة
إريتريا .

ولكى تحقق الدول الاستعمارية أهدافها رسمت سياستها على أسس أهمها:

- ١ -التحكم في أسعار المواد الخام بالمستعمرات بحيث تصل لأماكن التصنيع
في الدول الكبرى بأقل سعر مكن.
- ٠٢ أن تبقى المستعمرة دائماً بلاداً غير صناعية .
- ٠٣ ألا يكتسب أبناء المستعمرة الخبرة الغنية والمعرفة التي تعينهم على تنمية
صناعاتهم المحلية.
- ٤ . العمل على أن تكون الأيدي العاملة الوطنية دائماً متوفرة وعلى استعداد
لتلبية طلبات الدول المستعمرة.
- ٠٥ الاحتفاظ بمستوى اجور العمال الوطنيين المنخفضة في المستعمرات .
- ٠٦ وضع قيود على المستعمرات بحيث لا تتاجر مع الدول الأخرى .

وقد عبر عن هذه الأهداف بصراحة رئيس الحكومة الفرنسية جولس فيرى (Jules Ferry) عام ١٨٨٥ فى تصريح له فى البرلمان الفرنسى، وقد عبرت عن ذلك جريدة (Christian Science Metor) فذكرت " إن رأس المال الأمريكى أكتشف فى أفريقيا قارة من ١٥٠ مليون مستهلك ومصادر لا تتضب من المواد الخام" و هذا يفسر لنا السبب فى أن الدول الأفريقية حين استقلت وجدت نفسها عاجزة عن استغلال مواردها الطبيعية فقد كانت بحاجة للخبرة الفنية والتدريب وإلى غير ذلك من المقومات الأساسية لقيام ونجاح الصناعات الوطنية وهو ما حرص الاستعمار على عدم إتاحة الفرصة لأبناء المستعمرات لاكتسابه.

٧) تكوين المستعمرات السكنية كدافع للاستعمار:

تذرت بعض الدول الأوروبية الكبرى كفرنسا وألمانيا بان الاستعمار ضرورة فرضتها ظروفها لتكون المستعمرات كمصرف للزائد من سكانها الذين ضاقت بهم رقعة بلادهم.

فالكتاب الفرنسيون والألمان أخذوا يتحدثون من نرعين من المستعمرات :

أ) مستعمرات سكنية بغرض الإقامة الدائمة بها .

ب) مستعمرات استغلالية للأغراض الاستغلالية التجارية.

وقد دفعت بعض النظم الاجتماعية الجديدة فى المجتمع الصناعى الأوروبى بالإضافة إلى الصراعات السياسية والدينية فى أوربا بالبعض إلى الهجرة من أوطانهم .

وقد وجدت بعض الدول الأوروبية أنه لكي لا تفقد زهرة شبابها الذين كانوا يهاجرون للخارج ويقطعون صلاتهم بأوطانهم أن تحل هذه المشكلة بأن توجد مستعمرات سكانية ترتبط بالوطن الأم يهاجر إليها أمثال هؤلاء الشبان وبذلك تبقى صلتهم بالوطن الأم مستمرة. ولكن ثبت أن ادعاءات هذه الدول بحاجتها الماسة للمستعمرات السكانية ليست صحيحة بدليل أن هذه الدول لم تجد من أبنائها من يرغب بمحض إرادته في أن يهاجر وأضطرت الحكومات إلى إرسال المجرمين والمحكوم عليهم في قضايا جنائية وغيرها من غير المرغوب فيهم للمستعمرات •

هذا على أن النهضة الصناعية الأوروبية امتصت في الحقيقة معظم الأيدي العاملة في هذه البلدان •

٨) دوافع ظاهرية تذرعت بها الدول المستعمرة:

ادعى بعض الكتاب السياسيين الفرنسيين والانجليز وغيرهم بأن دولهم لها رسالة في نشر المدنية في الجهات غير المتحضرة من القارة الأفريقية، فقد كان رودس مثلاً يردد القول بان خير الإنسانية يتحقق بان يمد الجنس الأنجلو سكوني نفوذه على أكبر مساحة ممكنة •

لكن ظهر أيضاً من الكتاب الأوروبيين أنفسهم من وجد لديه الشجاعة الكافية ليسخر من هذا الإدعاء ففي عام ١٨٨٥ كتب بعضن الكتاب الفرنسيين مقالات يسخرون فيها من سياسية بلادهم الاستعمارية ومن ادعاءات رجال السياسة عن المهمة الإنسانية التي تقوم بها فرنسا في أفريقيا، وذكروا أن مهمة فرنسا في بلد كالجزائر

انحصرت فى تعليم العرب هناك شرب الخمور الرديئة وطائفة اخرى من الرذائل لم يكونوا يعرفونها.

على أن رجال السياسة الاستعماريين أنفسهم لم يجدوا بعد ذلك ما يدعوهم لأن يسدوا على أعمالهم الاستعمارية هذا الستار الإنساني فمثلاً نجد لوجارد (Lugard) وهو من الاستعماريين البريطانيين يصرح سنة ١٨٩٢ بان الاستعمار الإنجليزي فى أفريقيا تدعو له مصالح إنجلترا الحيوية الخاصة بمواجهة الزيادة فى منتجاتها ، وفى أفريقيا مجال طيب لتوزيع الفائض من هذه المنتجات ولتنمية التجارة الإنجليزية .

وبالمثل فى فرنسا نجد الكاتب الفرنسي دارسى (Darcy) يذكر سنة ١٩٠٤ " إن توسيع الدولة خارج حدودها أصبح شرطاً أساسياً لقيام ودوام هذه الدولة، وفى عصرنا هذا من لا يتقدم ويسبق يتأخر ، ومن يتأخر لا بد من أن يغرقه الطوفان.

وفى عام ١٩٢٣ صرح وزير المستعمرات الفرنسي البرت سرو (Albert Serrate) بأن الاستعمار لم يكن إلا حملاً من أعمال القوة دعت إليه المنافسة المتزايدة بين الأفراد والجماعات " وهكذا لم تصبح هناك ضرورة للبحث عن أعداء شكلية تنتزع بها الدول الاستعمارية لتبرر عملياتها الاستعمارية.

وسنحاول أن نتتبع الدور الذى لعبته كل دولة استعمارية أوروبية فى القارة الأفريقية وسياسة هذه الدولة، ووضع الأفارقة فى ظل هذا الاستعمار وموقفهم من المستعمرين.

الفصل الثالث

الاستعمار البرتغالي في إفريقيا

الفصل الثالث

الاستعمار البرتغالي في إفريقيا

افتتح البرتغال صفحة الاستعمار في إفريقيا باحتلالهم قلعة سبته المغربية في عام ١٤١٥ وكان البرتغال في ذلك الوقت تحت - حكم يوحنا الأول - والسؤال الذي يفرض نفسه علينا:

لماذا سبق البرتغال غيرهم من الأوروبيين في استعمار إفريقيا ؟

يرجع ذلك لعاملين:

أولاً : عامل تاريخي:

فقد كانت شبه جزيرة ليبيريا محتلة من العرب وخلدت كذلك لعدة قرون ولما بدأت شعوب شبه الجزيرة تنشط في مقاومة العرب بعد أن تفككت الدولة الأموية في الأندلس وانقسمت إلى دويلات _ استطاعت البرتغال أن تستكمل استقلالها في القرن الثالث عشر وقاما بها ملكية فنية بينما ظلت أسبانيا حتى القرن الخامس عشر تطارد العرب إلى أن سقطت غرناطة آخر معاقل العرب في عام ١٤٩٢، وهكذا أتيحت الفرصة للبرتغال للاتجاه خارج بلادهم قبل غيرهم.

كما أن الملكية الفتية في البرتغال وجدت أن استمرار تعقبها للعرب الذين نزحوا من شبه جزيرة أيبيريا إلى ثغور شمال أفريقية يدعم مركز هذه الملكية كذلك فإن الحروب ضد المسلمين أعطت البرتغال دفعة دينية حتى في الوقت الذي كانت فيه

الحماسة الدينية الذى صاحبت الحملات الصليبية قد فترت، والدليل على ذلك أن الملك يوحنا ملك البرتغال صرح بان الميدان الحقيقى الذى يكتسب فيه أصحاب البيت المالك الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين فى المغرب وأنه سيتمنح أكبر وسام فى بلاده لمن يجاهد في هذا الميدان - وكان هذا الشرف من نصيب هنرى الذى عرف باسم(هنرى الملاح) الابن الثالث للملك.

ثانياً : عامل جغرافي:

ويتمثل فى موقع بلاد البرتغال وقربها من السواحل الأفريقية وكانت المسافات فى ذلك الوقت لها أهميتها.

وقد روادت هنرى فكرة الحملات البحرية للقارة الإفريقية بهدف الوصول إلى غانا التى اشتهرت بعلاقاتها التجارية مع المسلمين، وكذلك الوصول إلى إثيوبيا المملكة المسيحية الأفريقية التى لم تكن لدى الأوروبين معلومات كثيرة عن موقعها . لكن شاع فى أوربا الحديث عن ملكها المسيحي الذى عرف باسم يوحنا وذلك بهدف التعاون بين البرتغال وهذا الملك المسيحي لتطويق المسلمين للوصول إلى منتجات الشرق التى تدر على البلان الإسلامية — ودولة المماليك بالذات التى كانت تمثل القوة الإسلامية العظمة فى ذلك الوقت - أرباحا طائلة.

وقد أهتم هنرى الملاح بتقوية اسطول البرتغال وإنشاء مدرسة بحرية وجلب لبلاده عددا كبيرا من الفلكيين ورسامى الخرائط والبحارة من ايطاليا وصقلية.

رحلات البرتغال الكشفية:

توالى رحلات البرتغال إلى ساحل أفريقيا الغربية بعد فتح سبته في عام ١٤١٥ فاحتلوا جزر كناريا وجزر ماديرا، والرأس الأبيض ووصلوا إلى مصب السنغال والرأس الأخضر .

واهتم البرتغال بإنشاء الحصون و القواعد على الساحل الغربي للقارة لخدمة أغراضهم التجارية والاستعمارية ومن أهم الحصون التي شيدها.

١ - حصن أرجيم (Argium) مقابل الرأس الأبيض .

٢ - حصن سنتياجو (Santiago) قرب الرأس الأخضر .

٣ - حصن ساوتومي (Sao Tome) في الجزيرة التي عرفت بهذا الاسم في خليج غينيا .

وكانت لهذا الحصن الأخير أهمية خاصة لموقعه الممتاز في منطقة يعتبر ظهيرها القاري من المناطق الغنية في القارة الأفريقية و كذلك في الطريق المؤدي للبرازيل وفي الطريق من أوربا إلى جنوب أفريقيا ، فأصبحت ساوتومي مركزا هاما لتجمع الرقيق قبل شحنه للبرازيل ولغيرها من مناطق العالم الجديد المحتاجة للأيدي العاملة لاستثمارها وتعميرها .

وتكونت شركات برتغالية للتجارة مع ساحل غانا بالذات فى الرقيق والذهب
وتوسع البرتغال فى تجارة الرقيق وبرروا ذلك بأن الرقيق فى البلاد التى نقلوا إليها
يعيشون حياة أفضل من حياتهم بين القبائل الأفريقية المتوحشة.

وفى عام ١٤٨٤ وصل الرحالة البرتغالى ديجوكم (Diego Cam) إلى
الكنغو وحاول البرتغال التوغل للداخل وفرض سيطرتهم عليها و نشر ثقافتهم ولغتهم
فيها — لكن باءت هذه المحاولات بالفشل فلم يستطيعوا السيطرة على الكنگو سياسياً
كما لم يكن لهم أثر ثقافى، واضطر رجال الدين الذين وفدوا للتبشير فى هذه الجهات ،
كما اضطرت التجار البرتغال لأن يعودوا أدرأجهم ، وتعتبر هذه من أولى المحاولات
الجادة للاستعمار الاستيطاني الأوربي فى القارة الأفريقية ، وظلت الكونغو كذلك حتى
كشفت رحلات ستانلى النقاب عن ثرواتها الطبيعية فاتجهت إليها أنظار المستعمرين
الأوربيين .

وتركزت جهود البرتغال بعد ذلك فى المنطقة الواقعة جنوب الكنگو عند ميناء
لواندا (Luanda) وكانت هذه هى نواة مستعمرة أنجولا البرتغالية التى اشتهرت فيها
بعد كمركز من أهم مراكز تصدير الرقيق الأفريقي إلى البرازيل بالذات واشتهرت فى
تاريخ البرتغال الاستعماري باسم الأم السوداء إشارة لشهرتها فى إمداد البرتغال بحاجتها
من الرقيق .

وفى عام ١٧٨٦ رحل الرحالة بارتيليمودياز (Bartholemeu Diaz) إلى
الطرق الجنوبي من القارة عبره لسافة قصيرة فى جو عاصف فاطلق عليه اسم (رأس
العواصف).

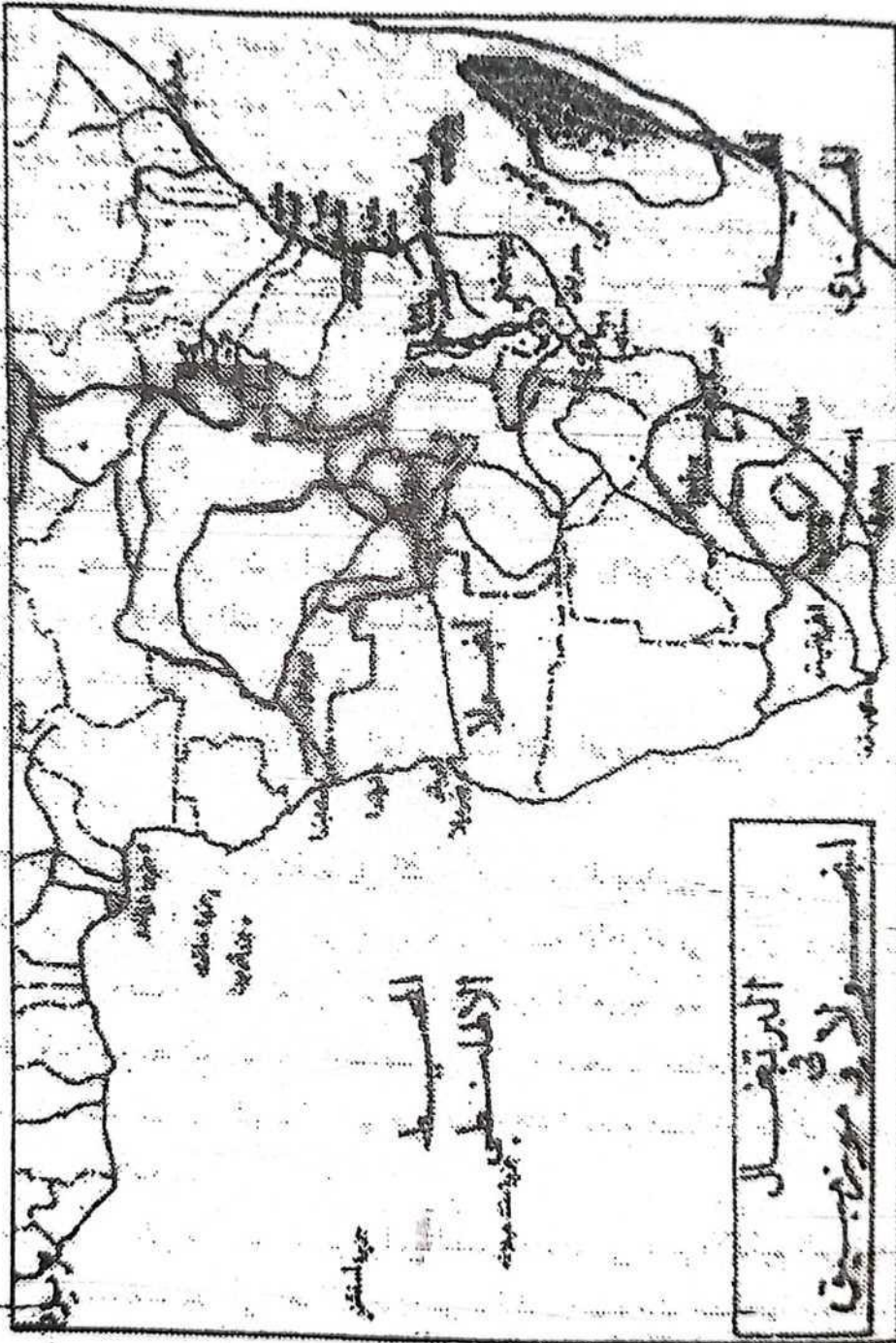
البرتغال فى سواحل أفريقيا:

كانت الفكرة التي تراود البرتغال منذ بدأت رحلاتهم البحرية هي أن يحيطوا بالقارة ويصلوا للهند.

وفى سنة ١٤٨٧ وصل لممصر الرحالة البرتغالى بيدرودى كوفيلهام (Pedro De Coviikam) وكان يعمل لحساب الملك البرتغالى، ثم سافر هذا الرحالة عن طريق البحر الأحمر لمدن وللعدن والهند تقي أثناء عودته زار بعض الإمارات العربية فى الساحل الشرقى لأفريقيا وقد فتحت رحلته العيون إلى أهمية هذه الإمارات العربية بشرق القارة وكانت معلوماته أساسا للرحلة التي قام بها بعد فاسكودا جاما (Vasco De Jama) حول رأس الرجاء الصالح.

فقد قام فاسكو داجاما فى ١٤٩٧ برحلته فى أربع سفن ووصل إلى نهاية القارة وعبر رأس العواصف التي غير اسمها إلى رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى حيث وزاهرة، وبارشاد الرحالة العرب وصل إلي (كلكوت) على ساحل الهند الغربى، ودعا إلى لشبونة.

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال فى هذا الطريق واسطدوا بالإمارات العربية فخضعت لهم سفالة ، وكلوه ، وممبسه وغيرها من المراكز التي كان يستقر بها العرب ، واستولى البرتغال على موزمبيق عام ١٥٠٧ واستقر عدد منهم بها وحصنوها وتوسعوا فى المناطق المحيطة بها فأصبحت مركزا هاماً لهم بشرق القارة وعينوا حاكماً لهم بها كما أصبحت انجولا مركزهم بغرب القارة .



البرتغال في أفريقيا أنجولا وموزمبيق

وقد ترتب على كشف طريق رأس الرجاء الصالح عدة نتائج منها

أولا نتائج سياسية:

حقق البرتغال هدفهم فى السيادة على الطريق البحرى المؤدى للشرق وشعر المماليك الذين كانوا يحكمون مصر والشمام والحجاز ويتحكمون فى هذا الطريق التجارى الهام للشرق بالخطر البرتغالى على مصالحهم فأعدوا أسطولهم لمواجهة هذا الخطر وانضم إليهم البنادقة الذين كانوا أيضاً يحققون أرباحاً طائلة من نقل بضائع الشرق لأوروبا- ووقعت بين الطرفين موقعة بحرية هى موقعة ديو (Diu) فى عام ١٥٠٩.

وكانت هذه الموقعة فاصلة فى إنتقال السيادة البحرية فى المحيط الهندى والطرق المؤدية إلى البرتغال ، واتصل البرتغال بملك إثيوبيا المسيحي وانفقوا معه على العمل سوياً لتطويق البلاد العربية وانتزاع التجارة التي كانت ثروة هذه البلاد وهكذا حقق البرتغال هدفهم واهتزت بذلك الهيمنة السيلسية للمماليك وضفت دولتهم ومهد ذلك لسقوطهم فى أيدي العثمانيين.

ثانيا : نتائج اقتصادية :

فقدت مصر المملوكية وبلاد الشرق العربي مورداً هاماً من مواردها الاقتصادية بتحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح فقد فرضت البرتغال حصاراً بحرياً على البحار العربية الداخلية، وهكذا حقق البرتغال حلمهم بوضع أيديهم على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، وتأثرت مصر بالذات بهذا الحصار ، وأدى هذا إلى ضعف دولة المماليك فسقط الشام فى يد العثمانيين فى عام ١٥١٦ وتلتها مصر فى عام ١٥١٧.

وقد حل العثمانيون فى الصراع ضد البرتغال محل المماليك ، واستمر النضال بين القوتين لمدة طويلة واتخذ صورا متعددة منها أن الدولة العثمانية كانت تعاون الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة إثيوبيا والتي سميت (بممالك الطراز) بينما كانت البرتغال تؤيد مملكة الحبشة وتعينها على مهاجمة الممالك الإسلامية المحيطة بها واخذ البرتغال يروجون لبضائع الشرق التى يجلبونها عن الطريق الجديد بالإضافة إلى البضائع الأفريقية وفى مقدمتها الرقيق فى اسواق اوربا، كما أنهم كانوا يتطلعون للذهب الذى كان يستخرج من مناجم منطقة الزمبىزى ويصدر من موانئ شرق القارة وكان العرب يقومون بهذا النشاط فعمدوا لوضع ايديهم على موانئ الساحل الشرقي للقارة.

ثالثا : الناحية الدينية :

كان الدافع الديني فى مقدمة الدوافع التى دفعت البرتغال للقيام بنشاطهم الكشفى فى أفريقيا وقد امتد الصراع بين البرتغال والمسلمين فترة طويلة بعد طرد العرب من شبه جزيرة أيبيريا و اقتفت البعثات التبشيرية خطى الرحالة والتجار وجيوش الاستعمار ، وتنافست فرق الرهبان على العمل فى القارة، وإن كان يذكر لهذه البعثات الدينية جهودها فى مجال التعليم والعلاج لكن انحراف بعض رجال الدين عن أهدافهم و اتجاهاتهم للسعى لتملك الإقطاعات الكبيرة والإشراك فى تجارة الرقيق وغير ذلك مما يتنافى مع رسالتهم الدينية — أدى إلى ضعف تأثير هذه البعثات التبشيرية .

رابعا : الناحية الثقافية :

أدى تحويل التجارة من مصر والشرق الغربى إلى عزل هذا الجزء عن العالم العربي وحضارته مما أدى إلى الركود الذى شمل العالم الإسلامي .

أما فيما يتعلق بدور البرتغال فى المناطق التى استعمروها فى انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو فقد كان ضئيلا وقد ترك امر التعليم والعلاج لجهود الإرساليات التبشيرية وهى جهود و إمكانيات كانت محدودة بالطبع وقد كان إتجاه الحكام البرتغال فى مستعمراتهم الأفريقية — كما عبر عن ذلك حاكم عام موزمبيق فى عام ١٩٠١ " وإن تعليم الأفريقى يجب أن ينحصر فى إعداده ليكون عاملاً ينفذ الأوامر فحسب لكن يجب ألا نشجعه حتى يصل به الغرور الدرجة أن يحاول تمثيل دور الضفدعة التى ظنت أنه يمكنها أن تتنفخ فتصبح كالنور فانتهى الأمر بانها انفجرت وبالطبع لم تلحق بالثور ضرر لكن فى حالة الأفريقي لابد أن يلحق الضرر بالآخرين "

موقف الوطنيين فى شرق القارة من الاستعمار البرتغالي :

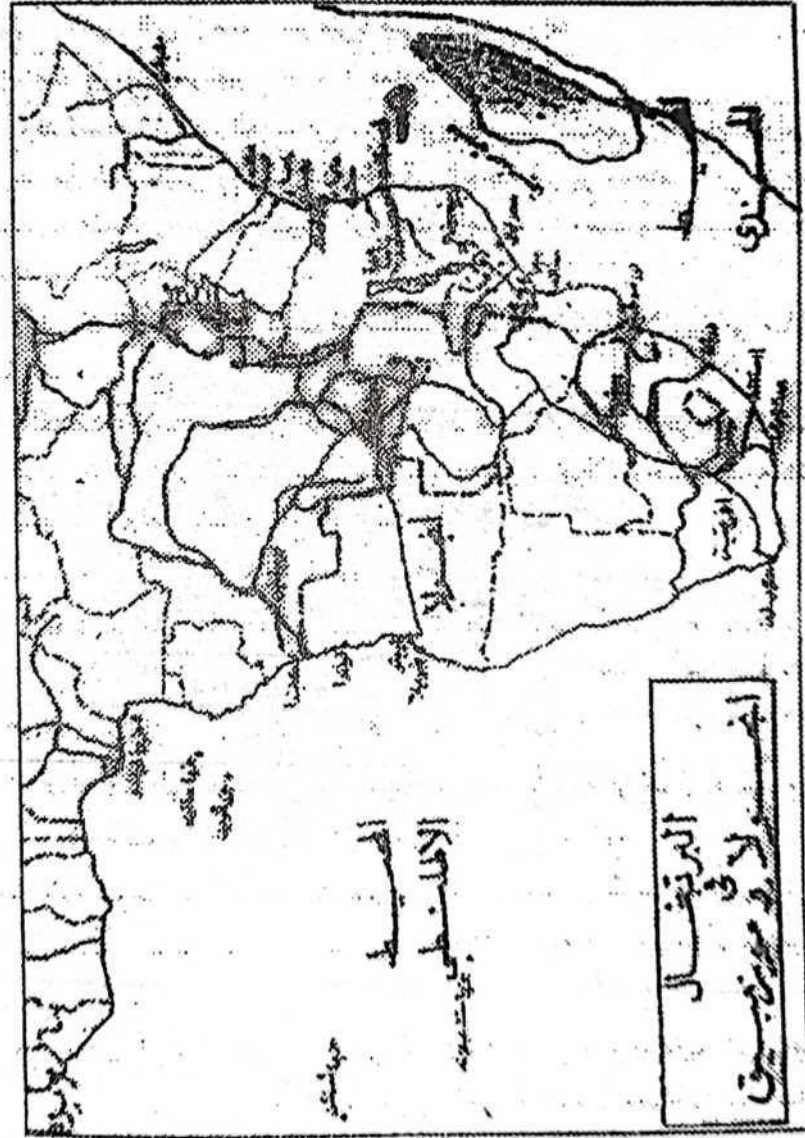
واجه البرتغاليون فى شرق القارة وفى غربها ثورات متعددة ومقاومة من الأفريقيين والعرب المستقرين بهذه المناطق ومن أبرز هذه الثورات فى شرق القارة — الثورة التى تزعمها (أمير على) فى مقديشو وامتدت للمناطق المجاورة ، واستعان البرتغال بقواتهم البحرية لآخمادها .

وقد تعددت ثورات العرب فى شرق أفريقيا ضد المستعمرين البرتغال ولقوا تأييد من العثمانيين وأضطر البرتغال فى النهاية لتركيز سلطتهم فى مناطق محدودة فاتخذوا من موزمبيق مقراً لهم واهتموا بتحسينها لتصبح مركزا لسيادتهم بشرق القارة .

على أن البرتغال وإن كانت قد سبقت غيرها من الدول الأوربية فى ميدان

الكشف.... إلخ .

الكشف والاستعمار في أفريقيا فإنها لم تجن ثمار ذلك النصر المبكر فقد
اقتصرت نسبها في القارة أخيراً على موزمبيق،



البرتغال في أفريقيا أنجولا ومزمبيق

وانجولا، وغينيا البرتغالية (غينيا بيسار) ولعل ذلك يرجع لأسباب منها :

١. قلة عدد سكان البرتغال أنفسهم .

٢- نظرة البرتغال لأفريقيا على أنهم وسيلة فقط للوصول للشرق وليست غاية في ذاتها.

٣. كانت مناطق أخرى كالبرازيل أكثر جاذبية من أفريقيا.

٤. عداة الأفريقيين للمستعمرين البرتغال ومالقيه الأفرقة في شرق أفريقيا على وجه الخصوص من تعضيد عرب شبه الجزيرة العربية لهم .

٥. تضارب مصالح البرتغال أنفسهم من تجار وأصحاب إقطاعات ومبشرين.

٦. احتلت أسبانيا البرتغال ذاتها في عام ١٥٨٠ ودام هذا الاحتلال ما يقرب من ٨٠ عاماً.

٧. حاولت البرتغال بعد مؤتمر برلين تحقيق حلمها في ضم الأقاليم التي تفصل بين مستعمراتها في أنجولا وموزمبيق — لكن اصطدمت مصالحها مع مصالح إنجلترا التي كانت تبسط نفوذها في جنوب القارة فاضطرت البرتغال للخضوع لمطالب الإنجليز.

نظام البرتغاليين في حكم مستعمراتهم:

كان الهدف الأساسي الذي وضعه البرتغال أمام انظارهم هو استغلال مستعمراتهم إلى أقصى حد ومقاومة أية حركة تمرد ولذا أتسم نظامهم بالعنف والقوة واستغلال المواطنين الأفارقة إلى أبعد حد حتى أن كثيرين وصفوا هذا النظام بأنه صورة جديدة من صور الرق.

وكانت هناك (وزارة للمستعمرات) على رأسها وزير مستعمرات يعلنونه (مجلس استشاري)، وكان يعقد فى لشبونة كل ثلاث سنولت مؤشر عام لحكام المستعمرات لمناقشة الاوضاع

فى المستعمرات.

وكانت السلطة الرئيسية فى المستعمرة فى يد الحاكم العام ، يعاونه هو أيضاً مجلس استشاري وعدد من الموظفين .

وتكونت فى المستعمرات البرتغالية بمضى الوقت طبقة من (الأقطاعيين) الذين لا هم لهم إلا الاثراء السريع، وكان عدد المهاجرين البرتغال للمستعمرات بمحض إرادتهم قليلاً_ لكن لجأت الحكومة البرتغالية لأرسال المجرمين والخارجين عن القانون ، ولذا كانت الغالبية العظمى من البيض فى المستعمرات البرتغالية من الطبقات المنحطة وانحصرت جهود الجميع من إداريين وغيرهم فى تجارة الرقيق والتى اشتهرت بها بالذات أنجولا بينما اشتهرت موزمبيق لوقت طويل بتجارة الذهب التى كان يمارسها العرب المستقرين بشرق القارة من قبل .

ولما كانت جهود البرتغال قاصرة عن الإستغلال الكامل للمستعمرات وبسبب قلى عدد البرتغال والحاجة الملحة لرؤوس أموال ضخمة لاستغلال المستعمرات فقد منحت البرتغال فى مستعمراتها امتيازات كثيرة (لشركات تجارية أجنبية) تابعة لدول أخرى.

وقد واجهت الاستعماريين البرتغال في مستعمراتهم مشكلة موقف الأفريقيين من العمل فقد كان المستعمرون بحاجة للأيدي العاملة الأفريقية الرخصة وكان السؤال الذي يسأل دائما هو : .

هل الواجب يقضى بالزام الأفريقيين على العمل أم ترك الحرية لهم فى هذا ؟
وقد التزم البرتغاليون حتى فى تشريعاتهم بمبدأ (العمل الإلزامى) فكانوا يشجعون الأفريقيين للعمل فى مزارع الكاكاو فى جزيرة ساوتومى وغيرها بعد إجبارهم على توقيع عقود عمل صورية .

وقد أطلقت البرتغال على مستعمراتها مند تولى انطونيو . مالازار (Antonio D. Salazar) وزارة المستعمرات فى البرتغال فى عام ١٩٣٠ (أقاليم ما وراء البحار) وتغير إسم وزارة المستعمرات إلى وزارة الأقاليم الواقعة فيما وراء البحار بإعتبار أن جميع هذه الأراضي الأفريقية الخاضعة للبرتغال هى جزء لا يتجزأ من أراضى البرتغال ذاتها ، وضد قانون يشجع سياسة الاندماج (Assimilation) فقد منح الأفريقي الذي يتعلم اللغة البرتغالية ويعتق الكاثوليكية حق المواطن البرتغالي .

الخدمات ووضع الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية :

نظر البرتغال للأفريقي على أنه كائن حي أقل من الاوربي وان عليه أن يعمل أو يجبر على العمل ليحقق الرفاهية للأوربي فالمستعمرات كان ينظر إليها على أنها أقاليم منتجة تصالح الرجل الأبيض ، وكانت القوانين التى صدرت كلها تسير فى هذا الاتجاه ولم يقل البرتغاليون فى أى يوم من تاريخهم الطويل فى أفريقيا وهو يقرب من

خمسة قرون - أن ينظروا إلى الأفريقي نظرة الند للند أو أن يعاملوه على قدم المساواة مع الأوربي الدخيل.

ولو استعرضنا أوجه الخدمات المختلفة نلمس ذلك بوضوح :

١- **فيما يتعلق بالأرض الزراعية** : حُجزت مساحة من الأرض للأفريقيين وإستولى البرتغال على الباقي وكان نصيب المستعمرين فى الأرض الخصبة.

٢- **الخدمات التعليمية** : ترك العبء الأكبر فيها للإرساليات التبشيرية وبالطبع كانت جهود هذه الإرساليات محدودة، وكان هناك نظام تعليمي للأفارقة وآخر للأوربيين، ولم يتجاوز الطلبة الأفارقة مرحلة التعليم الأولى بسبب شروط السن وغيرها ، أما أمام المدارس العليا فكانت مخصصة للمستوطنين وفرض على الأطفال الأفارقة فى المدارس ان يتعلموا اللغة البرتغالية وتاريخ البرتغال وأمجادهم .

وكانت نسبة الأمية بين الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية رهيبه_ لكن إذا وضعنا فى الاعتبار أن نسبة الأمية فى البرتغال ذاتها كانت لوقت قريب كبير . أدركا ان الأمر لم يكن غريباً .

٣- **الخدمات الطبية** : ترك العبء الأكبر فيها أيضاً على عاتق الإرساليات ، وبالطبع كانت حاجة الأفريقيين ماسة لهذه الخدمات - لكن فرصتهم فى الحصول عليها لم تكن أحسن من الفرص المتاحة لهم للتعليم فى المدارس بعد المرحلة الأولية . وحتى فى هذا المجال الانسانى - مجال الخدمات

الطبيه تمثلت التفرة العنصرية بمظهرها البشع فقد كانت تخصص للأوربيين مستشفيات او أماكن خاصة بهم فى المستشفيات ، وكذلك غرف للعمليات كان يحظر دخولها على الأفريقيين ، وكانت أغلب المستشفيات فى المدن التى يتركز فيها الأوربيون بعكس القرى والمناطق التى خصصت للأفارقة فقد كانت تفتقر لأماكن العلاج .

٤ - -الوضع الاقتصادى : وجهت مشروعات التنمية الاقتصادية فى

المستعمرات إلى إنتاج المحاصيل التجارية والصناعات ذات القيمة فى التجارة الخارجية ولم تراعى فى مصلحه الأفارقة . ولعل التقرير السري الذى وضعه بتكليف من الحكومة البرتغالية هنرى جلغاو (Henrique Galvao) والذى رفعه فى عام ١٩٤٧ إلى الجمعية الوطنية يعطى صورة عن حقيقة الوضع فى المستعمرات البرتغالية، لكن الصراحة المؤلمة التى كتب بها التقرير ترتب عليها أن وجهت له الاتهامات فسجن وبقي فى السجن حتى عام ١٩٥٩ حين استطاع الهرب.

فى تقريره اشار إلى ان الحالة فى أنجولا، وموزمبيق وسوء الخدمات التى تقوم بها الدول أو المؤسسات المكلفة بذلك لا يمكن وصفها إلى بالقول بأن الوضع يشبه كان المستعمرتين تعانيان من الآثار المدمرة لحريق مروع انتشر بسبب عدم توافر الماء او المضخات اللازمة للإطفاء أو رجال الإطفاء أنفسهم .

وتحدث التقرير عن الظروف السيئة التي يعمل فيها العمال الوطنيون وعدم توافر المساكن الصحية اللائقة بآدميتهم ، وعدم دفع الأجور المناسبة لهم ، وذكر في نهاية تقريره أنه يشعر بمعجزه عن ذكر الحقيقة كاملة لكنه يحمل الوضع بأنه أشبه بعملية إبادة بالجملة للسكان الأفريقيين .

نهاية الاستعمار البرتغالي في أفريقيا :

كانت البرتغال كما ذكرنا في مقدمة الدول التي افتتحت صفحة الاستعمار الأوربي في أفريقيا والعجيب إنها كانت رغم ضعف إمكاناتها وسوء حالتها الاقتصادية ، وما كانت تعاني منه من مشكلات داخلية - أخرى الدول الأوربية التي سلكت بحق المستعمرات في الاستقلال فقد ظلت متمسكة بمستعمراتها حتى بعد تصفية الوجود الاستعماري الألماني والإيطالي والأسباني والانجليزي والفرنسي في أفريقيا .

وكانت البرتغال تخشى امرين :

(١) تسرب الأخبار الحركات التحريرية الأفريقية التي اجتاحت القارة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية — لمستعمراتها .

(٢) الرأي العام العالمي ممثلاً في الأفراد و الجماعات والمنظمات الدولية التي تساند حق الشعوب في الحرية والاستقلال .

لكن رغم الجهود التي بذلتها البرتغال لمواجهة هذين الأمرين فقد أخذت الاضطرابات تجتاح المستعمرات البرتغالية منذ عام ١٩٤٨ .

وكانت أنجولا أسبق من موزمبيق فى الثورة على الاستعمار وأكثر منها

عفا وشدة ولعل هذا يرجع إلى الأسباب التالية:

(١) ما عانته أنجولا فى ظل الاستعمار البرتغالي ومن جراء تجارة الرقيق

بالذات .

(٢) انفصال البرازيل عن التاج البرتغالي فى النصف الأول من القرن التاسع

عشر وانتقال صدها للجاذب الشرقى من المحيط الاطلنطي.

(٣) كثير من القبائل فى شمال انجولا تربطها صلات القربى بالقبائل فى

الكنغو ولذا انتقلت بسير أخبار حركات المقاومة الوطنية فى الكنگو إلى

أنجولا.

(٤) هناك خط حديدي ينقل النحاس من كإنتاج إلى ميناء لواندا فى أنجولا

وينقل بالطبع معه أخبار التيارات التحررية .

(٥) قيام الثورة فى الكنگو واضطرار السلطات الاستعمارية البلجيكية للاعتراف

باستقلال الكنگو .

(٦) ظهور أحزاب قوية وزعامات ناضجة فى أنجولا

(٧) ظهور عناصر أفريقية مثقفة بها.

وقد ساندت الدول الأفريقية والاسيوية فى الأمم المتحدة حق الوطنيين الأفارقة فى

المستعمرات البرتغالية فى الاستقلال ومنذ ١٩٦١ وقضية هذه المستعمرات معروضة

على مجلس الأمن وتقرر تشكيل لجنة لبحث ظروف هذه المستعمرات ووضع تقرير

عنها (لجنة استقصاء الحقائق) وقد رفضت البرتغال التعاون مع اللجان التابعة لأمم المتحدة في هذا الشأن .

أما عن منظمة الوحدة الأفريقية فقد ناقشت منذ قيامها في مايو ١٩٦٣ قضية هذه المستعمرات البرتغالية واتخذت قرارات بمساندة الوطنيين في كفاحهم ضد الاستعمار .

لكن البرتغال نفسها كانت تئن تحت حكم عسكري جائر وأخيرا سقط الحكم العسكري (حكم سالازار) في البرتغال تحت ضغط الظروف الاقتصادية . ولا شك في أن ظروف البرتغال في مستعمراتها والاستنزاف المستمر لميزانيتها لتمويل حملات القمع والإرهاب في المستعمرات ساهمت في سقوط العسكري في البرتغالي ، وأعقب ذلك تحرير المستعمرات فأعلن استقلال غينيا و بيساو و ١٠ سبتمبر ١٩٧٤ وموزمبيق ٢٥ يونيو ١٩٧٥ ، وأنجولا في ١١ نوفمبر عام ١٩٧٥ .

وقد عبر أحد الكتاب عن ذلك بقوله :

" لقد نجحت المستعمرات البرتغالية في تخليص البرتغال من الحكم العسكري ولما ثم ذلك استطاعت المستعمرات البرتغالية ان تتخلص من الاستعمار البرتغالي " .

ونلاحظ على الاستعمار البرتغالي ما يلي :

١- كان الدافع الديني من أكبر الدوافع التي دفعت البرتغاليين للقيام بجهود في الكشوف الجغرافية والاستعمار .

٢- حقق البرتغاليون نجاحاً متقطعاً نظير باكتشافهم طريق رأس

الرجاء الصالح ووصولهم للهند عن هذا الطريق .

٣- اقتصر الاستعمار البرتغالي في المبدأ على مناطق ساحلية أو مراكز في غرب القارة أو شرقها ولم يتوغلوا كثيراً في الداخل .

٤- اهتموا ببناء القلاع الحصينة لحماية النقاط التي اتخذوها على السواحل .

٥- كان الاستعمار البرتغالي ضربة عنيفة هزت نفوذ المسلمين التجاري في المحيط الهندي والبحار الشرقية . كما أثرت على الإمارات العربية في شرق أفريقيا .

٦- احتكرت البرتغال تجارة الشرق والتجارة في السلع الأفريقية وفي مقدمتها الرقيق والذهب والفضة وأصبح (لشبونة) مركزاً رئيسياً للسلع الأفريقية ومنتجات الشرق .

٧- انفتح المجال أمام الجمعيات التبشيرية لمزاولة نشاطها فيالقارة الأفريقية ، لكن تطور الأمر لتنافس غير شريف بينها ، بالإضافة إلى انغماسها في تجارة الرقيق .

٨- واجه البرتغاليون ثورات متعددة من الأفريقيين والعرب .

٩- بعد الحرب العالمية الثانية واجهت البرتغال ثورات في مستعمراتها وكانت أنجولا أسبق من موزمبيق في الثورة -

١٠- ظلت حكومة سالازار العسكرية في البرتغال متمسكة بمستعمراتها في موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو إلى ان سقطت هذه الحكومة في عام ١٩٧٤ فكان ذلك إيذاناً باستقلال المستعمرات البرتغالية .

الفصل الرابع

الجهود الدولية لإلغاء الرق في إفريقيا

الفصل الرابع

الجهود الدولية لإلغاء الرق فى إفريقيا

تعد تجارة الرقيق وصمة عار على الحضارة المسيحية عندما بدأت الدول الأوروبية عمليات استرقاق الجنس البشرى ، خاصة عندما بدأت كل من أسبانيا والبرتغال شحن الرقيق إلى جزر الهند الغربية مع حلول القرن السادس عشر ، واستمرت هذه التجارة البشعة فى البشر طوال أربعة قرون من الزمان وشاركت بريطانيا فى هذه التجارة بشكل واضح خصوصا بعد أن صار الرق مصدر رخاء للتجار البريطانيين . ولا ينسى التاريخ ما قام به الإنجليز من جهود فى تجارة الرقيق منذ القرن السادس عشر حيث كان القرصان الإنجليزي سير جون هوكنز (Sir John Hawkinz) بريطانى ينادى بجدوى تجارة الرقيق التى تحقق أرباحا تفوق أرباح الاتجار فى الذهب أو العاج، وقد بدأ مغامراته فى هذا المجال عندما رسى فى سيراليون لأول مرة فى الثامن من مايو ١٥٦٦ وأسر ٤٠٠ أفريقى وباعهم للأسبان فى العالم الجديد وذلك مقابل ٢٥ جنيها للأفريقى، وتبعه فى هذا المضمار عدد آخر من التجار الإنجليز .

وكانت الشركات البريطانية تعكس اولاً فى ميدان تجارة الذهب ولكنها بدلت تتجه إلى الرقيق؛ وكانت أول دفعة من هذا الرقيق قد وصلت إلى فرجينيا (Virginia) فى عام ١٦٢٠ وبلغ عددهم عشرين ألفا .

ومنذ عام ١٦٤٠ بدأ الإنجليز يصدرون الرقيق إلى مستعمراتهم ومستعمرات الدول الأخرى فى الأمريكتين ، ولما كانت هذه التجارة تدر أرباحاً طائلة فقد تحول عدد كبير من الإنجليز إلى تجار رقيق حتى أن عدد الرقيق الذين حصل عليهم البريطانيون فى عام ١٧٠٠ بلغ حوالى ١٥٠٠٠ عبد نقلهم الإنجليز عبر الأطلسي . وزاد هذا العدد إلى ٤٠٠٠٠ فى عام ١٨٠٠ ، وبلغ عدد السفن البريطانية التى كانت تعمل بنقل الرقيق حوالى ١٩٢ سفينة بالإضافة إلى أربعة سفن تخص لانكستر . وكانت سعة كل من هذه السفن ٥٠٠٠ عبد ، وصارت منطقة سيراليون أهم المصادر الرئيسية للرقيق فى القارة الأفريقية ، وكان تجار الرقيق يقيمون مخازن وحظائر لحفظ الرقيق المخطوفين وكانت تلك المخازن تقام داخل قلاع وصل عددها فى عام ١٧٩١ حوالى ٤٠ قلعة - ولكل من البرتغاليين والدانمركيين أربع قلاع: أما الفرنسيون فكانت لهم ثلاث قلاع .

لقد كان دخول الدول الجديدة إلى ميدان تجارة الرقيق وبال على سكان أفريقيا إذ قامت هذه الدول مجتمعة بالعمل فى الرق الجماعى وأخذت بريطانيا مكان الصدارة فى هذه التجارة حيث فيما بين أعوام ٧١٨٦٠ ، ١٧٨٦ إلى مليونين ومائة وثلاثين ألفاً . وإذا قدرنا أن ما وصل إلى المستعمرات كان نصف ما خرج من أفريقيا لأدركنا أى خلل تعرضت له أفريقيا خلال القرن السابع عشر حيث قدر ما وصل إلى المستعمرات الأوربية كلها حوالى أربعين مليوناً وهذا يعنى أن قارة أفريقيا خسرت قرابة ثمانين مليوناً من سكانها .

وليس أدل على سوء المعاملة التي كان يلقاها الرقيق من جانب الأوربيين من تعليق هورس مان (Horace Mann) النائب عن ولاية ماسوشيتس الأمريكية في مجلس العموم في ٣٠ يونيو عام ١٨٤٨ حيث جاء فيه (أن الإنسان يخجل من الأفعال التي اقترفها تجار الرقيق فقد كانت الدول تلهث من أجل الحصول على الذهب الأسود وحتى يمكنها الحصول عليه عقدت اتفاقا مع اللصوصية والموت وكانت وسائلها للحصول على أغراضها من هذه التجارة في الرقيق هي القيود والسلاسل الحديدية والاسلحة النارية وغيرها لأصطياد الجنس البشري ، وقد جعلت من أفريقيا مسرحا لصيدها ومن أهلها فريسة لها ومن مستعمراتها سوقاً لها فقد اندفعت إلى حيث يسكن السود كالذئب إلى حظيرة الغنم في منتصف الليل وأشعلت في القارة الأفريقية النيران حتى تتمكن من الإمساك بأهلها العزل وهم يهيمنون على وجوههم من لهب النيران فقد ساققتهم فزعين مضطربين إلى الشاطئ مقيدتين ومغلطين كالبضائع على مراكب ليس بها أية تهوية ومتلاصقين بدرجة لا تسمح حتى بمرور الهواء بينهم " لتبدأ رحلتهم عبر المحيط، وقد فتحت لهم فتحات المراكب مرة يوميا لإمدادهم ببعض الطعام أو لإخلاء الموتى حتى تصل إلى الشاطئ فيكافئ الأوغاد من أهل الأرض الجديدة اللصوص بشراء ضحاياهم) .

وأثناء هذه الرحلة في التجارة المثالته كانت تتبع أقسى الوسائل الوحشية التي كانت نؤدى في معظم الأحيان إلى هلاك عدد كبير من الرقيق . وكان العبيد يجبرون على فتح أفواههم لبلع الطعام بواسطة قضبان حديدية محماة في النار ، كما كانوا يجبرون على الرقص والغناء وذلك بالفقز إلى أعلى مع خبط ملابسهم بقوة لتحدث صوتا ومن يرفض يتم ضربه بالسياط ، كما كان الرقيق يربطون بالسلاسل والقيود

الحديدية مع بعضهم أزواجاً وهم عرايا تماماً ويتم شحنهم فى المراكب فى مساحة لا تتجاوز للفرد ١٨ بوصة حتى لا يلتفت أى عبد وراءه أو على جانبه دون مراعاة لأى ناحية صحية وذلك حتى يتمكن شحن أكبر عدد ممكن من الرقيق .

وهناك قصص كثيرة يصعب حصرها عن تلك المعاملة القاسية التى كان يواجهها الرقيق ونأخذ مثالا واحدا لتلك الأعمال غير الإنسانية لسفينة إنجليزية تدعى زونج (Zong) أبحرت عام ١٧٨١ فى رحلتها عبر الاطلنطى وهى محملة بكامل حمولتها من الرقيق ، وعندما اكتشف الربان أن مياه الشرب غير كافية لهذا العدد الذى تحمله السفينة وخوفا من هلاك ركابها فقد تم إلقاء حوالى ١٣٢ عبدا فى عرض البحر حتى يمكن استرداد قيمة الخسارة من شركة التامين وبالفعل تم تعويض السفينة بواقع ٣٢ جنيها إسترلينياً عن كل عبد وذلك على اعتبار أن هذا الرقيق عبارة عن ممتلكات أو متاع لولا التضحية به لفقدت كل الشحنة وأيدت المحاكم الأمريكية ذلك وقررت أنه لا تنطبق على أصحاب السفينة إلية جريمة من جرائم القتل .

وظهرت الوحشية فى ممارسة هذه التجارة حيث شلت مظهر الحياة الأفريقية وصارت الأرض التى نزلها الأوربيون أحلك بقاع العالم ظلام وسواداً وعزلة ، ومن الحقائق التاريخية أن الأفريقيين أنفسهم لطمخوا أيديهم بهذه الدماء فاشتركوا مع غيرهم من التجار الأوربيين بنصيب وافر فى هذه التجارة . إذ لم يكن التاجر الأوربى يجرؤ على التوغل فى الداخل خوفاً من فقدان حياته وكانت بعض القبائل الأفريقية التى عرفت بالقسوة والشجاعة توفر على التاجر الأوربى كل هذه المخاطر ، فيسوقون بنى جنسهم بالألوف إلى الشواطئ تحت لهيب السياط ، واستمر الرق ، والقارة تتعرض

لحملات منظمة والتجار الاوربيون يشجعون استمرار هذه التجارة التى كانت تدر أرباحا طائلة حتى أواخر القرن الثامن عشر. ووصلت تجارة الإنجليز فى الرقيق ذروتها قبل حرب الاستقلال الامريكية، وكانت ليفربول أهم موانئها وإلى جانبها لندن وبرستول لانكشير .

وأدرك الإنجليز أن التاريخ لن يغفر لهم ما اقترفوه من آثام فى حق الجنس البشرى بممارستهم هذه التجارة البشعة ، فتكونت بعض الجماعات الإنسانية لمكافحة الرقيق . ومن أبرز أعضاء هذه الجماعات توماس كلاركسون (Thomas Clarkson) الذى سافر إلى برستول وليفربول لجمع البيانات عن الرقيق ، واستطاع أن يجمع العديد من المعلومات عن هذه التجارة وحمل معه عند عودته نماذج من قيود اليدين وقيود القدمين ، ونزاعات الأظافر وفاتحات الفم وأسياخ الحديد التى كانت تكوى بها أجسادهم عند كتابة أسماء أسيادهم على ظهورهم وكذلك الأطواق التى كانت تشد إليها رقابهم حتى لا يفرون إلى الغابات .

كما نقل جون نيوتن (John Newton) أحد تجار الرقيق الذى صار قسيسا بكنيسة سان مارى بلندن صورا عن سفن العبيد أثناء الرحلة عبر الأطلسى إلى العالم الجديد . ولعب الكنيسة دورا ملحوظ فى الدعوة إلى إلغاء تجارة الرقيق حيث أصدر البابا ليو العاشر (شغل منصب البابوية من ١٥١٣ - ١٥٢٢) قرارا ضد العبودية . كما أصدر الإمبراطور شارل الخامس أمرا فى عام ١٥٤٢ يقضى بمنع الاتجار فى الرقيق وبإطلاق جميع العبيد فى أمريكا الأسبانية ، كما وجهت الملكة اليزابيث لوما شديدا إلى جون هوكنز الذى نقل العبيد فى ١٥٦٢ إلى جزيرة هسبانيولا ، وتحركت

قوى أخرى تدفعا الشفقة والرحمة على أبناء الجنس البشرى ، فأصدرت جماعة الكويكرز (Quakers) قرارا فى عام ١٧٢٤ ضد تجارة الرقيق - وفى عام ١٧٨٣ أسست هذه الجماعة أول جمعية لإلغاء الرق فى بريطانيا وقامت بحملة واسعة من أجل القضاء على هذه التجارة وخاصة فى غرب أفريقيا ، وكانت هذه الجمعية أول واحدة من نوعها فى العالم ، وكان ذلك سببا لتدرك طوائف الكويكرز فى المستعمرات البريطانية فى أمريكا فطردت من بينها كل من يمتلك عبداً ورفض تحريره .

وعندما ثارت المستعمرات البريطانية فى أمريكا ضد الحكومة وحاربت الإنجليز وحصلت على استقلالها فى عام ١٧٨٣ وعد البريطانيون أثناء الحرب العبيد هناك بمنحهم الحرية إذا ما تخلوا عن أسيادهم من الأمريكيين ، وقد هرب عدد كبير منهم وانضموا إلى القوات البريطانية، ورحل عدد منهم إلى لندن بعد الحرب حيث صاروا أحراراً ولكنهم كانوا فقراء فاضطروا إلى الاستجداء فى الشوارع وصاروا فيما بعد مصدر قلق فى المجتمع .

وتحركت بعض الشخصيات البارزة فى المجتمع تدافع عن تلك الفئات المنكوبة وأخذت هذه الشخصيات نقود حملة ضخمة لإقناع الشعب البريطانى بفضاعة هذه التجارة ويطالبون بإلغائها والقضاء عليها . ومن تلك الشخصيات جرانفيل شارب (Granville Sharp) الذى التقى بأحد العبيد ويدعى جوناتان سترونج (Jonatan Strong) الذى كان عبداً عند أحد المحامين فى جزيرة بربادوس وقد لقى هذا العبد معاملة قاسية من سيده انتهت بفقدان إحدى عينيه.

وقام شارب بطبع نشرة عن سوء معاملة هذا العبد ووزعها على الأوساط القضائية وتضمنت الدعوة إلى مساواة العبد بالحر فى الحقوق والواجبات بمجرد أن تطأ قدماه أرض إنجلترا ، وفى تلك الفترة ظهرت إلى حيز الوجود قضية العبد جيمس سمر ست (Jamus somerset) . جاء هذا العبد إلى إنجلترا فى صحبة سيده شارل ستبورات وما أن وصل إلى إنجلترا حتى هرب من سيده - لكن أمكن القبض عليه مكبل بالأغلال وأرسل إلى جزيرة جامايكا وعرض الأمر على القضاء فقضت المحكمة فى ٢٢ يونية ١٧٧٢ بالحكم الذى أصدره القاضى اللورد مالسيفيليد (Lord Mansfield) بأنه بمجرد أن تطأ قدم أى عبد أى جزء من أرض بريطانيا أو ممتلكاتها فإنه يصبح حراً ، وكان هذا الحكم أول صفة أصابت تجارة الرقيق والعاملين بها وضاعت من الآمال المعقودة للقضاء عليها .

وبعد الحكم فى قضية هذا العبد بدأ دعاة تحرير الرقيق يكتفون من نشاطهم فتألفت فى لندن فى عام ١٧٨٧ جمعية تتكون من اثنى عشر عضوا منهم ثمانية من جماعة الكويكرز ، وأخذت هذه الجمعية تطالب بإلغاء تجارة الرقيق، وتقابل معهم وليم ويلبر فورس (WILLIAM WILBERFORCE) الذى وعد بالتحدث بلسانهم فى البرلمان .

إن الحملة الإنسانية ضد الرقيق وتجارته قد أثرت بشكل عميق على السياسة البريطانية فى غرب أفريقيا . ومن أبرز الأعمال الفعالة لهذه الحملة حكم اللورد مانسغلد عام ١٧٧٢ وقرارات البرلمان فى عامى ١٨٠٧ و ١٨٣٣ ، وقد تضمن الأول والأخير التحرر فى إنجلترا وفى الممتلكات البريطانية والخارج ، وعلى هذا الأساس

خول قرار فى المجلس عام ١٨٠٨ الحق فى القبض على قوارب الرقيق ومن ثم بدأت الحملة البحرية فى المحيط الأطلسى وعلى الساحل . وفى عام ١٨١١ بدأت محاولة استخدام فرقة دفاعية وهى عبارة عن عدد محدود من الرجال والقوارب التى تركز فى مناطق محددة أو التى تقوم بعمليات الاستيلاء على الرقيق من السنغال إلى الكونغو ، واستمر الخلاف حول استراتيجية الوسائل البحرية الفعالة طوال الحملة وذلك عندما زاد عدد السفن الحربية من مجرد ست سفن إلى أكثر من عشرين سفينة عام ١٨٤٠ .

وسوف نعرض لجهود بريطانيا فى القضاء على تجارة الرقيق فى غرب إفريقيا بالذات وقد ظهر هذا عندما أرسل المندوبون الساميون فى البحرية البريطانية تعليمات إلى القائد البحرى السير كولير (COLLIER) فى الثالث من نوفمبر ١٨١٩ ، وتضمنت الوثائق البريطانية فى مجال تحرير الرق منها قرارات للبرلمان بالموافقة على المعاهدات التى أبرمت مع البرتغال وأسبانيا من أجل القضاء على الاتجار فى الرق وبالإضافة إلى الأوامر الأخرى التى تحمل أعلام الدول الخاصة بالدولتين وكذلك المعاهدة التى وقعت مع ملك هولندا فى ٤ مايو ١٨٤٨ بشأن القبض على الرقيق .

وفى مذكرة السير توماس فويل بوكستن T. F. Butxton إلى جمعية التحضر الأفريقية فى أبريل ١٨٣٩ يقول أن المبدأ هو تخليص أفريقيا عن طريق تنمية مواردها ولكى يتم ذلك يجب القضاء على تجارة الرقيق والاهتمام بالتجارة وتنقيف الأفارقة ولهذا لا بد من زيادة وتركيز الحملات التفتيشية وعقد المعاهدات مع رؤساء الساحل والداخل والحصول على أراضى للزراعة وإحياء الثقافة الإفريقية وهذا يتطلب من الحكومة إرسال البعثات الدبلوماسية لعقد المعاهدات التى تتضمن إيقاف تجارة الرقيق ومنح

الأراضى لأجل استغلالها فى الزراعة وتأسيس الشركات التجارية وإحياء المؤسسات الثقافية الأفريقية .

وقد أرسل اللورد بلمرستون إلى المندوبين الساميين فى سيراليون وإلى رؤساء السفن البرتغالية فى الثامن من نوفمبر ١٨٣٩ يفيد بأن الأوامر صدرت من جلالة الملكة إلى قواد البحرية البريطانية لمنع السفن التى تعمل فى الرقيق وتحمل أعلام البرتغال وكذلك منع السفن التى تعمل فى هذه التجارة .

ولا تحمل أية أعلام أو أى أوراق تثبت جنسيتها كذلك صدرت الأوامر لإنشاء محاكم بريطانية من نواب البحرية فى أى مكان داخل مجال النفوذ البريطاني والمستعمرات فى الخارج .

كما صدرت الأوامر بان تجارة السفن البرتغالية التى تم احتجازها سوف ترسل إلى موانى النفوذ البرتغالي حيث يتم تسليمها إلى السلطات البرتغالية .

وصدرت الأوامر أيضاً بان الزوج الموجودين على هذه لسفن المحتجزة سوف يستقرون فى أقرب مستعمرة بريطانية او ميناء بريطاني وسوف يكون تحت إشراف الحاكم أو غيره من المسئولين فى المستعمرة وصدرت الأوامر أيضاً إلى حاكم المستعمرات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمساعدة الزوج الذين يطلق سراحهم حسب هذه الأوامر .

وفى عام ١٨٤١ أرسل اللورد Russell إلى مندوب جلالة الملكة على ساحل النيجر فى ٣٠ يناير ١٨٤١ يخبرهم بإقامة علاقات طيبة مع الرؤساء والاتفاق معهم

على إلغاء التجارة فى الرق فى مناطقه وابدال ذلك بالتجارة المشروعة وتبادل السلع التجارية معهم.

وفى السابع عشر من فبراير ١٨٤٤ عقدت بريطانيا مع رؤساء بمبيا Bimbia فى الكاميرون ونصت فى مادتها الاولى على منع تصدير الرقيق إلى الأبد فى المناطق التابعة لرؤساء بمبيا ويتعهد هؤلاء الرؤساء على اصدار التشريعات التى تمنع الاتجار فى الرق بين رعاياهم كما نصت المادة الثانية على عدم السماح بإقامة أى أوربى فى مناطق رؤساء بمبيا بغرض القيام بعمليات تجارة الرقيق كما أنه لا تقام أى منازل أو مخازن بهدف الاتجار فى الرقيق كما تعهدت ملكة بريطانيا بإعطاء سلع لرؤساء بمبيا قيمتها حوالى ١٢٠٠ دولار .

وفى ١٢ يونية ١٨٤٤ صدرت تعليمات إلى رؤساء البعثات التى تتفاوض مع الزعماء الأفارقة تضمنت ضرورة حصولهم على المعلومات الدقيقة عن تجارة الرقيق ووضعها فى ذلك الوقت والهيئات التى تمارسها والدول التى تخضع لها والطرق التى يتم بها الاتجار فى الرق وأساليب استلام ثمن الرقيق والاماكن التى تورد الرق ، وطلبت التعليمات بضرورة تزويد قواد البحرية بتقرير سنوى مفصل على وضع التجارة المشروعة ومدى القضاء على الرق .

الجهود البريطانية لإلغاء الرق فى غرب أفريقيا :

وحتى عام ١٨٠٤ لم تقم انجلترا بأى اجراء ايجابى لاجل مقاومة هذه التجارة بينما كانت الدنمارك قد سبقتها وأصدرت مرسوما ملكيا فى ١٦ مايو ١٧٩٢ بإبطال تجارة الرقيق على رعاياها ولكنها جعلت عام ١٨٠٢ نهاية التجارة .

وأخيرا نجحت الحركة من جديد عندما اقرها اللورد جرانقل عام ١٨٠٦ ونجح فى حمل المجلس على اصدار قرار بإنهاء تجارة الرقيق من جميع الاراضى البريطانية ولكن لم يوافق مجلس اللوردات إلى فى عام ١٨٠٧ .

وتوجهت هذه الجهود عندما وافق البرلمان البريطانى فى عام ١٨٠٧ على الغاء تجارة الرقيق وتحولت مدينة فريتون (Freetown) فى سيراليون إلى قاعدة للأسطول البريطانى لمرافبة تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي وواصل دعاة تجارة لرق جهودهم حتى صدر القرار النهائى بالغاء الرق فى عام ١٨٣٣ فى جميع انحاء الأمبراطورية البريطانية .

وأخذت الحكومة البريطانية تسعى جاهدة لتنفيذ هذا الفرار عن طريق دوريات سفن الأسطول البريطانى الى أخذت تجوب مياه غرب افريقيا لمنع تصدير الرقيق او نقله واصبح عدد السفن التى تعمل فى مكافحة تجارة الرقيق حوالى عشرين سفينة حربية تقل أكثر من ألف بحار مهمتهم البحث عن السفن التى تتاجر فى الرقيق وكانت سيراليون هى القاعدة البريطانية الوحيدة التى تضم قاعدة لسفن دوريات مكافحة الرق ، وانشئت بها محكمة لمحاكمة السفن التى يتم القبض عليها وهى تحمل الرقيق .

وونجح الأسطول البريطانى فى القبض على مئات السفن التى تعمل بهذه التجارة كما استطاع ان يحرر عشرات الألوف من العبيد وبالرغم من هذا فقد استمرت سفن الرقيق تحمل حوالى ١٢٥٠٠٠٠ عبد حتى عام ١٨٣٠ ورغم هذا استمرت بريطانيا فى مكافحتها لهذه التجارة وتبعتها دول أخرى حيث حرمت الدنمارك تجارة الرقيق فى ١٨٠٢ وحرمتها الولايات المتحدة فى عام ١٨٠٤ وحرمتها فرنسا فى عام ١٨١٨ إلا

ان إصدار هذه القوانين لا يعنى القضاء على تجارة الرقيق ذلك لأن الدول الأوروبية لم تكن جادة فى وضع القوانين موضع التنفيذ .

وكان مؤتمر فيينا الذي عقد فى عام ١٨١٥ لإعادة تنظيم خريطة أوربا بعد الحروب النابولينية فرصة طيبة لمحاربة تجارة الرقيق لاسيما وأن السفن التابعة لدول شمال أفريقيا كانت دائمة الإغارة على سفن الدول الأوروبية لنهبها واسترقاق ركبها فاتخذ المؤتمر قرارا بضرورة سحق هذه التجارة ومن اجل تنفيذ ذلك عقدت كل من إنجلترا وفرنسا اتفاقا بالتعاون فى عدم إدخال الرقيق فى ممتلكاتها على ان نتوقف هذه التجارة نهائيا فى أو يونيه عام ١٨١٩-

وفى عام ١٨١٧ سمحت اسبانيا والبرتغال لسفن الأسطول البريطانى بتفتيش السفن التابعة لهما وفى عام ١٨٣١ انضمت فرنسا إلى هاتين الدولتين وقد اتخذت بريطانيا من هذا الأعمال ذريعة لفرض سيطرتها البحرية وكان رئيس الوزراء البريطانى بلمرستون (Palmerstone) قد بذل أقصى جهد يستطيع رجل أن يبذله فى سبيل تشجيع القضاء على هذه التجارة واتخذ خطوة حاسمة فى هذا المجال عندما شكل لجنة فى عام ١٨٧١ لبحث نشاط التجار على الشاطئ الأفريقى ثم دراسة بنود المعاهدات والاتفاقيات السابقة والبحث عن امكانيات الاستفادة منها فى وضع حد لتجارة الرقيق واتفق الرأى على وجوب زيادة سفن الرقابة فى المحيط الاطلسى وكان هذا الإجراء خطوة لاستبدال المعاهدات القائمة بمعاهدات أخرى تنص على تحريم الرقيق نهائيا .

كلن الجهود البريطانية لم تحقق الأمال المعقودة عليها فى القضاء على تجارة الرقيق لان عدد العبيد المصدرين سنوياً من غرب أفريقيا بلغ حوالى ١٣٥,٠٠٠ عبد

فى عام ١٨٤٠ ويقدر فيليب كيرتن (PHILIP CURTIN) عدد الرقيق الذين اخذوا من افريقيا إلى الأمريكتين قبل عام ١٦٠٠ كان حوالى ١٢٥٠٠٠٠ عبد ويمكن أن يضاف إليهم ١٥٠٠٠٠٠ تم نقلهم إلى أوربا ليصل المجموع الكلى فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر حوالى ٢٧٥٠٠٠٠ والمتوسط السنوى لهذه الفترة التي بلغت ١٥٠ عام حوالى ١٨٠٠ عبد سنويا وفى القرن السابع عشر قدر فيليب كيرتن عدد الأفارقة الذين رحلوا إلى العالم الجديد بحوالى ١٢٨٠٠٠٠٠ عبد ويمكن أن يضاف اليهم ٢٥,٠٠٠ عبد رحلوا إلى أوربا وجزر الاطلسى وبهذا يكون المتوسط السنوى للقرن السابع عشر حوالى ١٢٠٠٠٠٠ عبد سنوي كما قدم فيليب كيرتن عرضاً سريعاً للرقيق المصدرين إلى أوربا والأمريكتين على النحو التالى .

عدد المصدر إلى أمريكا	عدد المصدر إلى أوربا وجزر الأطلسي	المتوسط السنوي	
--	٣٣٥٠٠	٦٧٠	عام ١٥٠٠
١٢٥٠٠٠	١١٦٤٠٠	٢٤٠٠	عام ١٥٠١-١٦٠٠
١٢٨٠٠٠٠	٢٥١٠	١٣٠٠٠	عام ١٦٠١-١٧٠٠
--	٥٧٠٠	٦٢٦٥٠٠٠	عام ١٧٠١-١٨١٠
٢٧٠٠	١٦٢٨٠٠٠		عام ١٨١٠
٩٢٩٨٠٠	١٧٥٠٠٠		إجمالي

التاسع عشر وهو قرن مكافحة هذه التجارة خاصة أن قرارات الحظر قد طبقت على أوروبا ولكن استمرت أفواج الرقيق إلى الأمريكيتين ومع هذا لم تقف جمعيات مناهضة الرق مكتوفة الأيدي أمام استمرار ممارسة الأتجار فى الرقيق ، ووصل ولبر فورس جهوده فى سبيل القضاء عليها نهائيا إختار خليفة له من الشباب يدعى توماس باكستون (Thamas Fzel Buxton) الذى تقدم إلى البرلمان بإقتراح بلغ تعويض لأصحاب العبيد فى جزر الهند الغربية عن إلغاء الرق وفى ٣١ يولية ١٨٣٤ كان قد تم تحرير ٨٠٠ ألف من الرقيق من جزر الهند الغربية، وكل هذا كان نتيجا ولبر فورس الذى يكلفه فخراً إنه حمل أمتة على رؤية ما فى تجار الرقيق من خطأ ثم حملها على الإيمان بعد ذلك بان الرق نفسه عمل غير مشروع حتى أبدت استعدادها لإصلاح هذا الخطأ مهما كلفها من أموال .

جهود أفريقية لمقاومة الرق :

فى الوقت الذى كانت بريطانيا توالى جهودها لمقاومة الرق مع الدول الأوربية قامت بضغط مماثل مع الزعماء الأفارقة، وعقدت معهم حوالي ١٥٠ معاهدة صداقة وسلام تنازل الزعماء بمقتضاها عن أجزاء من بلادهم لبريطانيا وتعهدوا فيها بالامتناع عن الاتجار فى الرقيق ، وكان هذا فى مقابل بعض الهدايا من الأقمشة والاطباق والخمور - وليس معنى عقد هذه المعاهدات ان الزعماء الأفارقة لم يقوموا بعمل ايجابى من وحى أنفسهم من واقع الشعور بالمسئولية للقضاء على هذه التجارة ، فهناك بعض الجهود الأفريقية لمقاومة تجارة الرقيق وبدأت تلك الجهود فى عام ١٥٢٦ عندما كتب الملك المشهور لدولة باكونجو (Bakongo) التابعة للكونغو (قرب مصب النهر)

خطابا يحتج فيه على ملك البرتغال أفونسو ويشكو إليه بان تجارة الرقيق قد سببت أضرارا كثيرة لدولته .

وفى داهومى على ساحل أفريقيا الغربي أرسل الملك أجاجا (Agaja) جيشه للاستيلاء على مدينة اداره (Ardrah) في عام ١٧٢٤ بقصد القضاء على تجارة الرقيق وأرسل خطابا إلى الحكومة البريطانية يخبرها برغبته فى إيقاف تصدير الرجال والنساء من شعبه ، وشرح لهم الأضرار التي عادت على دولته من جراء هذه التجارة البشعة . ومثال آخر أورده رحالة سويدي فى عام ١٧٨٩ عندما زار الإمامة فى فوتاتوره فى شمال السنغال وقد كتب هذا الرحالة بانه فى فوتاتور أصدرت قانوناً ينص على عدم أخذ أى رقيق من فوتاتور للبيع فى الخارج ولقد حاولت السفن الفرنسية إرغام الإمام على انهاء العمل بهذا القانون ، ولكنه رفض هذا بالإضافة إلى عدة محاولات أخرى فى منطقة (بنين) ولكنها باءت بالفشل ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن تجارة الرقيق كانت جزءا أساسيا من النظام التجارى لغرب أفريقيا حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وذلك للعمل فى المناطق الاستوائية الأمريكية -

وفى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر بدأت حكومة الولايات المتحدة تبذل جهودا جادة للقضاء على هذه التجارة ولم يأت عام ١٨٦٥ حتى كانت تجارة الرقيق عبر الأطلسى قد انتهت، وشهد فى الجنس البشرى فقامت بريطانيا بعقد بعض المعاهدات مع الدول من أجل القضاء على الرق ، ومن أبرز تلك المعاهدات هذه المعاهدة مع سلطان زنجبار فى الخامس من يونية ١٨٧٣ ، ونصت على منع تصدير

العبيد فى ممتلكات سلطان زنجبار وإغلاق كل الأسواق العالمية التى تقوم فى مملكته بالتعامل فى الرقيق.

كما عقدت بريطانيا معاهدة مع مصر فى الثالث من أغسطس ١٨٧٧ جاء فى مادتها الخامسة بتعهد الحكومة المصرية بنشر أمر خصوصى يرفق بالمعاهدة ويكون من مقتضاه منع بيع الرقيق بالكلية فى أرض مصر ابتداء من تاريخ نشر الأمر المشار إليه مع تخصيص نوع الجزاء الذى يترتب على من يخالف ذلك .

وعلى المستوى الدولى واصلت بريطانيا جهودها مع بقية الدول الأخرى على أن تتضمن كافة اللقائات الدولية ما يفيد إلغاء الرق وتحريم الإتجار فيه ، وجاء ذلك فى مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤ / ١٨٨٥ حيث نصت المادة التاسعة من نصوص المؤتمر على أنه نظراً لأن تجارة الرقيق ممنوعة طبقاً لمبادئ القانون الدول الذى تعترف به القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر ونظراً لأن عمليات نقل الرقيق براً وبحراً ممنوعة، لذا فإن القوى التى لها حقوق سيادة أو نفوذ فى المناطق التى تكون حوض الكونغو، تعلن أن هذه المناطق لن تستخدم كسوق للرقيق وتلتزم كافة القوى بإتخاذ كافة الوسائل لوضع حدا لهذه التجارة ومعاقبة المشتغلين بها .

وفى مؤتمر بروكسل الذى عقد فى الثانى من يوليو ١٨٩٠ لبحث مسألة الرقيق الأفريقى نلاحظ أن معظم مواد هذا المؤتمر تدو حول القضاء على تجار الرقيق ، وتنظيم عمليات القضاء عليها . وقد أفاض المؤتمر كثيراً فى النقاط والبنود التى تتعلق بالقضاء على هذه التجارة فلقد نصت المادة الثالثة على أن تتعهد القوى التى تمارس السيادة أو الحماية على مناطق فى أفريقيا أن تعمل على القضاء عليها باى

وسيلة فعالة ومن حق القوى التي تفوض مسؤولياتها إلى شركات ذات براءة في كل المناطق الواقعة تحت سيادتها، وتصل هذه القوى مسئولة بشكل مباشر عن تنفيذ هذه البنود .

ويقع هذا المؤتمر في سبعة فصول تضمنت مائة مادة تدور كلها حول تجارة الرقيق والأسلحة النارية ، وقد أشتمل الفصل الأول على مواد خاصة بالتنظيم الإداري والقضائي والديني والعسكري والعقوبات التي توقع ضد من يتاجر في الرق كما تضمن هذا الفصل بنودا حول الرقيق المحرر وبناء المعسكرات ومحطات استقبال الرقيق المحرر ، ويتضمن الفصل الثاني بنودا خمسة تدور حول مراقبة طرق التجارة في الرق وكذلك الوسائل الواجب اتخاذها لمنع الاتجاد في الرق وأيضا طرق تحرير الأفراد والارقاء .

وجاء في الفصل الثالث حوالى اثنين وأربعين مادة عالجت مسائل القضاء على الرقيق بحراً وحق الرقيق في استعادة حريتهم على ظهر السفن الوطنية ، وتضمن الفصل الرابع اثني عشر مادة خاصة بالرقيق المحررين وإلهايين والرقيق على متن السفن المحلية.

وجاء في الفصل الخامس ست عشرة مادة عالجت وسائل حماية الرقيق المحررين ومعاينة كل من يمارس العمل في هذه التجارة . أما الفصل السادس فقد عالج في ست مواد وسائل منع المشروبات الكحولية والرسوم الخاصة بها ، وجاء في الفصل الأخير النص على سريان مفعول هذا المرسوم بعد سنتين يوماً من إيداع المرسوم في أرشيف الحكومة البلجيكية .

وقد تصدرت المادة الأولى من قرارات هذا المؤتمر إعلان القوى الموقعة على هذا المؤتمر باتخاذ الوسائل الآتية للقضاء على الرقيق .

(١) التنظيم المستمر للخدمات الإدارية والقضائية والعسكرية للمناطق الأفريقية التي تدخل تحت حماية وسيادة الأمم المتحدة .

(٢) أن تقوم القوى المسؤولة فى كل منطقة بإنشاء محطات قوية بشكل تدريجى فى الداخل وتكون مهمتها إتخاذ الإجراءات الفعالة لكبح وحماية عمليات صيد الرقيق فى المناطق التى دمرت بسبب هذه التجارة.

(٣) إنشاء الطرق وخصوصا السكك الحديدية التى تربط هذه المحطات المتقدمة بالساحل والعمل لسهولة الاتصال بالمياه الداخلية وإلى مجارى الأنهار ومنابعها والتي تفصلها الشلالات والجنادل وذلك لاحتلال وسائل نقل سريعة اقتصادية بدلاً من وسائل الحمل عن طريق الرجال .

(٤) بناء القوارب التجارية على المجارى المائية الصالحة للملاحة وكذلك على البحيرات فى الداخل بشرط أن تساندها مراكز محصنة على الشواطئ .

(٥) إنشاء الخطوط التلغرافية التى تضمن إتصال هذه المراكز والمحطات مع الساحل ومع المراكز الإدارية .

(٦) تنظيم الحملات والطوابير المتحركة لاستمرار عملية اتصال المحطات مع بعضها البعض ومع الساحل بقصد مساندة الأعمال القمعية ولضمان سلامة طرق المواصلات .

٧) الحد من استيراد الأسلحة النارية أو على الأقل الأنماط الحديثة وكذلك الذخائر في كل المناطق التي تأثرت بتجارة الرقيق .

كما جاء في المادة الثالثة أن تتعهد القوى التي تمارس حق السيادة أو الحماية في أفريقيا بالعمل تدريجيا كلما سمحت الظروف لكي تؤكد وتدقق في قراراتها السابقة وذلك بالوسائل السالف ذكرها أو أى وسيلة أخرى مناسبة تهدف إلى القضاء على تجارة الرقيق داخل منطقتها الخاصة وتحت إشرافيا لنفس الفرض وبهدف إنساني محض .

كما نصت المادة الخامسة على ان تتعهد الدول الموقعة على مرسوم المؤتمر بتطبيق القوانين الواردة به وأن تصدر التشريعات الخاصة بوضع عقوبات على الأشخاص الذين يشتركون في القبض على الرقيق بالعنف ، ونصت المادة السادسة علي أن الرقيق المحررين نتيجة توقف أو مصادرة قوافل الرق داخل القارة سوف يعودون من جديد إذا سمحت الظروف إلى مناطقهم الأصلية .

وجاء في المادة السادسة يتم إرسال الرقيق المحررين طبقاً للتوقف أو تشتت السفن في داخل القارة إلى موطنهم الأصلي بقدر ما تسمح به الظروف وإذا تعذر ذلك تقوم السلطات المحلية بمساعدتهم في الحصول على وسائل الرزق إذا رغبوا في الإقامة في نفس المناطق .

وجاء في المادة السابعة أن أى هارب يطلب من الدول الموقعة على هذا المرسوم حمايته فعليها أن تلبى طلبه ، وان تستقبله داخل المعسكر أو المحطات التي أنشئت لهذا الغرض على ظهر السفن الحكومية ويجب على الحكومات التي توافق

على هذا الإتفاق أن تباشر مسئولياتها نحو حماية الرقيق المحررين ، وان تكفل لهم سبل الحياة الكريمة .

وبدأت الدول الأوروبية ابتداء من القرن التاسع عشر وضع مبادئ تحريم الرق موضع التنفيذ ، ففي عام ١٧١٦ تأسست جمعية الاستعمار الامريكية، ومنذ تاسيسها أخذت على عاتقها مسئولية نقل الرقيق المحررين إلى ليبيريا ، ولم يكن الدافع إلى ترحيل هؤلاء الرقيق إنسانياً وإنما كان الدافع الحقيقي هو أن كثيراً من الرقيق نالوا حريتهم بسبب موت أسيادهم فى الولايات المتحدة فى أوائل القرن التاسع عشر وكان ملاك الرقيق يكرهون أن يجدوا فى أرضهم رقيقاً يتحولون وهم أحرار من كل سلطان فيحرصون بنى جنسهم من الرقيق على التطلع إلى الحرية وهو شئ لا يتفق أصحاب المزارع الواسعة .

وفى عام ١٨١٩ قررت الحكومة الأمريكية إعطاء البحرية الأمريكية إعطاء البحرية الأمريكية حق تفتيش السفن فى البحار بحثا عن الرقيق وأن تطلق سراحهم وتعيدهم إلى أفريقيا مرة أخرى.

ونسقت جمعية الاستعمار الأمريكية جهودها مع الحكومة وأرسلت بعثة لاستكشاف مدى صلاحية شواطئ ليبيريا للتعمير ، وحصلت الجمعية فى عام ١٨١٩ على مرسوم حكومى بإنشاء مستعمرة ليبيريا على مثال سيراليون _ لكن الحرب الأمريكية التى استمرت أربع سنوات من عام ١٨٦١ - ١٨٦٥ عاهدت تحرير الرقيق بسبب ارتباط الجنوبيين بالرقيق وتجارته، ولكن رغم ذلك فقد استطاع أعضاء البعثة شراء قطعة من الارف فى ليبيريا وأخذت السفن تجلب الرقيق المحرر إلى هذه المنطقة

، وأخذت ليبيريا تستقبل جموع الرقيق المحررين وقامت جمعية الاستعمار بإدارة شئون هذه الدولة الناشئة حتى منتصف القرن التاسع عشر ففى عام ١٨٤٧ انسحبت الجمعية من هذه المهمة و أصبحت ليبيريا جمهورية زنجية مستقلة . وصار (جوزيف جنكر روبرت) أول رئيس لها، وفى عام ١٨٥٧ انضمت اليها ولاية ماريلاند، وفى أقصى مقاطعات ليبيريا جنوبا، وفى عام ١٨٦٠ اعترفت الولايات المتحدة بها رسميا .“

أما الرقيق المحررين فى بريطانيا وممتلكاتها فقد أنشئت أول مستوطنة أفريقية فى سيراليون وهى مستوطنة ترتبط إرتباطاً وثيقاً بقصة الرق فى بريطانيا حيث ترتب على حكم القاضى مانسفيلد فى عام ١٧٧٢ أن عدد كبير من الخدم الزنوج تجاوز أربعة عشر الفا هاموا على وجوههم فى طرقات وشوارع لندن دون عمل ، مما ترتب عليه بطالة وجوع ومرض، وبذلك ظهرت مشكلة تحتاج إلى حل ، وهنا أحس جرانقافل شارب بمسئوليته فسارع بالإنضمام إلى لجنة تكونت بعد ذلك من رجال الأعمال فى لندن ١٧٨٦ وعرفت هذه اللجنة باسم لجنة إغاثة السود The committee for relieving the Black Poor ونشرت نداء فى الصحف لجمع التبرعات لتحسين أحوال السود ، ونجم عن هذا النداء جمع مبلغ ثمانمئة جنية فى شهر قلائل .

وفى عام ١٧٨٦ تقدم دكتور هنرى سميثمان (Henry smeathman) بمشروع لإقامة مستوطنة فى شبه جزيرة سيراليون لإيواء الزنوج فى بريطانيا واقتنعت لجنة السود بهذا الإقتراح وعرضته على وزارة الخزانة البريطانية التى وافقت عليه ، وتكلفت بدفع الأموال اللازمة لنقل الرقيق إلى سيراليون ، وبالفعل تم جمع كل العبيد المتسولين من الطرقات والشوارع وأمكن شحن سفينتين ، وقد وصلت القافلة إلى تنارف

(Tenerife) إحدى جزر كناريا من مايو ١٧٨٧ ، وبعد أسبوع قضته هناك واصلت سيرها إلى خليج فرمشمانز (Frenchman's Bay) عند مصب سيراليون.

وفي عام ١٧٩٠ نجح جرانفل شارب و زملاؤه في تأسيس شركة عرفت باسم رابطة سان جورج (The st. George Bay Association) بهدف تشجيع وتنشيط التجارة المشروعة مع ساحل غرب أفريقيا . وفي ١٧٩١ زاد عدد مؤسسي الجمعية حتى بلغوا مائة عضو وطالبوا البرلمان بإصدار قرار تأسيس الشركة .

وعرض المشروع على مجلس العموم ، وصدر القانون بتأسيس شركة سيراليون في السادس من يونيو ١٧٩١ وحلت محل الشركة السابقة وفي ١٥ يناير ١٧٩٢ حملت السفن المهاجرين حوالي ١١٣١ فردا ومات أثناء الرحلة ٥٦ رجلا .

واستمرت الشركة تباشر عملها ولكن بسبب الخسائر الفادحة بدأت المحاولات في عام ١٨٠٣ لإقناع الحكومة بتولى أمور سيراليون ، وأرسلت لجنة برلمانية للتحقيق في خسائر الشركة وأوصت هذه اللجنة بنقل إدارة المستوطنة إلى الحكومة ووافق البرلمان بالفعل على صرف المبالغ اللازمة لإقامة المزيد من التحصينات ، وفي أوائل عام ١٨٠٧ صدر قانون بتحويل المستوطنة إلى مستعمرة للتاج وحلت شركة سيراليون ورفع العلم البريطاني على المستوطنة وهكذا صارت سيراليون مستعمرة بريطانية وانتهت قصة الرق داخل بريطانيا بعد صدور قرار إلغاء هذه التجارة في الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار ، وصار امتلاك العبد محرما في أي جزء من الممتلكات البريطانية في عام ١٨٣٣ .

الخرائط





طرق انتشار الإسلام في أفريقيا





أفريقيا أواخر القرن ١٩م



أفريقيا ١٩١٤م

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- أحمد طاهر: أفريقيا- فصول من الماضي والحاضر. دار المعارف. مصر، ١٩٧٥م.
- جلال يحيى: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر؛ المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٩.
- _____: مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦.
- جون هاتش: تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة فتحي العشري" دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.
- زاهر رياض: استعمار أفريقيا دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
- _____: استعمار القارة واستغلالها: القاهرة، ١٩٦٦م.
- السيد يوسف نصر: الوجود المصري في أفريقيا في الفترة من ١٨٦٠ إلى ١٨٩٩، دار المعارف، ١٩٨١م.
- شوقي الجمل: كشف القارة الإفريقية واستعمارها، مكتبه الانجلو المصرية. ط٢، القاهرة، ١٩٨٠م.
- صلاح الدين حافظ: صراع القوي العظمي حول القرن الافريقي، سلسله عالم المعرفة، الكويت، د.ت.
- عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، القاهرة، ١٩٦٥م.

- فيصل محمد موسى: موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر: منشورات الجامعة المفتوحة ، ليبيا، ١٩٩٧.
- محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
- محمد عوض محمد: الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط٠ دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٧ م.
- ميلاد القرحي: تاريخ اوروا الحديث والمعاصر من عصر النهضة الى الحرب العالمية الثانية الجامعة المفتوحة ليبيا. ١٩٩٥م.
- يسري الجوهري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، منشاه المعارف بالإسكندرية، ط٣، ١٩٧٦م.